جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

تقنيات الحجاج في حوارات النساء بلاغات النساء لابن طيفور نموذجا

إعداد
أحمد عبد العظيم محمد علي
كلية العلوم والآداب، جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية.
كلية الألسن، جامعة عين شمس، جمهورية مصر العربية.

(العدد السادس والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. مايو)
(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

تقنيات الحجاج في حوارات النساء بلاغات النساء لابن طيفور نموذجا

أحمد عبد العظيم محمد علي
كلية العلوم والآداب، جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية.
كلية الألسن، جامعة عين شمس، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: aamali@ju.edu.sa - d_ali@alsun.asu.edu.eg

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى استكشاف استراتيجيات الإقناع الحجاجي/الجدلي وآليات الإقناع في خطابات المرأة في كتاب "بلاغات النساء" لابن طيفور؛ من خلال عينة بحثية تتمثل في خمس محاورات تمت بين الخليفة الأموي معاوية –رضي الله عنه– وخمسة من نساء العرب، وتكمن أهمية هذه الدراسة في جانبين رئيسين: أولهما: من جهة المادة المدروسة، وهي كتاب بلاغات النساء، وما له من قيمة أدبية بما يشتمل عليه من نصوص مائزة في موضوعها وبلاغتها، فضلا عن كونه أحد أهم المدونات العربية التي اهتمت بإبراز بلاغة المرأة العربية تحديدا. وثانيهما: من جهة المعالجة النقدية؛ إذ تسعى هذه الدراسة المتواضعة إلى الإسهام في هذه التراكمية المتزايدة بشكل جلي خلال العقود الأخيرة للدراسات النقدية والبلاغية الساعية لإجلاء خصائص الخطاب الحجاجي عامة، وإبراز الإسهام النسائي في بلاغتنا الحجاجية خاصة، وتحقيقا لأفضل النتائج البحثية المرجوة، فقد اعتمدت الدراسة على المنهج التداولي متمثلا في معطيات النظرية الحجاجية، مع الأخذ بما أُثر عن بلاغيينا القدماء من مباحث بلاغية قيمة وأدوات منهجية ناجعة في استكشاف استراتيجيات الحجاج وآدابه وطرائقه اللغوية والبلاغية... إلخ. وقد خلصت الدراسة إلى عدة نتائج منها: جاء خطاب النساء لمحاورهم خطابًا بلاغيًّا ونثرا فنيًّا رفيعًا مشتملاً على جل ألوان البديع من جناس وطباق وسجع وتوازن ومناسبة وإطناب؛ حيث وُظفت صور البديع المتنوعة بوصفها أدوات ناجعة في تحقيق فعل الإغراء والإقناع، بما تمتلكه من طاقة

تأثيرية قوية في نفس المتلقي طربا بالإيقاع اللفظي، أو تلذذا بتدبر مكنونات المعنى الذي ينطوي عليه اللفظ.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، بلاغات النساء، ابن طيفور، التداولية، الآليات الحجاجية.

Al-Hajjaj's Techniques in Women's Dialogues, Women's Communications, by Ibn Tayfour, as a Model

Ahmed Abdul-Azim Muhammad Ali
College of Arts and Sciences, Al-Jouf University, Kingdom of Saudi Arabia.
Faculty of Al-Alsun, Ain Shams University, Arab Republic of Egypt.
Email: d_ali@alsun.asu.edu.eg - aamali@ju.edu.sa

Abstract:
This study explores argumentative/dialectical persuasion strategies as well as the mechanisms of persuasion in women's discourse in Ibn Tayfour's book "Balaghat al-Nisaa Eloquence of Women)"; Through a research sample that consists of five debates that took place between the Umayyad caliph Muawiyah -may God be pleased with him- and five Arab women.The significance of this study lies in two main aspects: firstly: the studied topics; namely Ibn Tayfour's book "Balaghat al-Nisaa", and its literary value, including distinguished texts in its subject matter and rhetoric. In addition, it is considered as one of the most important Arab records that focused on highlighting the eloquence of Arab women. Secondly: in terms of critical approach; as it seeks to contribute to this obvious accumulative increase during the last decades of critical and rhetorical studies seeking to elucidate the characteristics of argumentative discourse in general, and to highlight the female contribution to our argumentative rhetoric in particular.In order to achieve the best desired research results, this study relied on the pragmatic approach represented in the data of the argumentative theory, taking into consideration the valuable rhetorical investigations and effective methodological tools in

exploring the arguments' strategies and ethics as well as its linguistic and rhetorical methods...etc. The study arrived at several conclusions as follows: The women's discourse to their interlocutors was a rhetorical and represents a fine artistic prose that included alliteration, antithesis, assonance, balance, harmony, and verbosity. The various images of the art of Schemes were employed as effective tools in achieving the act of temptation and persuasion, with the strong impact they have on the recipient making him enjoy verbal rhythm, or reflecting on the meaning contained in the word.

Keywords: Pilgrims, Women's communications, Ibn Tayfur, Deliberative, Argumentative mechanisms.

تقنيات الحجاج في حوارات النساء
بلاغات النساء لابن طيفور نموذجا

مدخل تمهيدي:

لا شك أن الحجاج (الجدل) سلوك إنسانيّ فطريّ وأساسيّ، يعبر عن رغبة الإنسان الملحة في إثبات وجوده في مقابل الآخر المحيط به والمتفاعل معه سلبًا أو إيجابًا، حبًّا أو بغضًا. إن هذه الحقيقة أثبتها الله في حق الإنسان؛ حيث يقول جل شأنه: **{وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً}** (سورة الكهف، من الآية: ٥٤). ويتراوح هذا الحجاج، وذلك الجدل، بين قطبين: أولهما تلك الصورة البدائية القائمة على العدائية والمخاصمة، والثانية تتجسد في خطاب الذات الإنسانية حين ترتقي وتتحضر نفسيًّا وروحيًّا، فتنحو بخطابها نحو حوارية تفاعلية ناضجة تسعى إلى إثبات الذات، وفي الوقت ذاته لا تهدف إلى نفي الآخر أو سلبه.

وهكذا فإن الحجاج/ الجدل سمة إنسانية لازمت البشر على اختلاف عصورهم وأمكنتهم وشخوصهم، وهو في الثقافة العربية الإسلامية يُعد ظاهرة أصيلة عالجها القرآن في غير موضع*، ومارسها الإنسان العربي المسلم في إطار حضارة إنسانية نشطة وفاعلة، تأسست على استلهام إيجابي للخطاب الحجاجي/ الجدلي، قال تعالى: **{وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}** (سورة نحل، من الآية: ١٢٥).

والجدل –في جوهره– يأخذ بعدًا فلسفيًّا ومنطقيًّا، ويحركه هدف عام هو الإقناع وإلزام الآخر/ الخصم بالإذعان لحجة المتكلم ومنطقه، وهذه الغاية

* وردت مادة جدل بتصريفاتها المختلفة في القرآن الكريم في ثلاثين موضعًا. كما وردت مادة حجج (من الحجاج) في ثنتين وعشرين موضعا. يُنظر: محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، طبع دار الحديث بالقاهرة – ١٣٦٤هـ، مادة: جدل – حجج.

الإقناعية هي نتاج طبيعي لعملية الاحتكاك الإنساني والتدافع البشري بين الأشخاص بما بينهم من تباينات في الغايات الشخصية أو المرجعيات الدينية، أو الأيديولوجيات والأفكار الثقافية، أو ما بينهم من تعارض في المصالح والغايات والاحتياجات.

وبتطبيق هذه الرؤية التنظيرية على صعيد مطارحة نص "بلاغات النساء" يمكن الزعم أن خطاب كتاب "بلاغات النساء" –في مجمله– خطاب حجاجي بامتياز، ولعل تلك السمة الحجاجية ترجع إلى اعتماد نصوص هذا الكتاب على بنية الحوار ابتداء، ثم إلى طبيعته الخطابية في المقام الثاني، وأخيرا ترجع هذه الطبيعة الحجاجية في جانب كبير منها، إلى طبيعة العلاقة السياسية والأيديولوجية المتوترة بين معظم المتحاورين.

إن الصبغة الحجاجية التي يتسم به كتاب "بلاغات النساء" تطل برأسها من عتبة عنوانه ابتداء "بلاغات النساء"؛ التي تحيل إلى مفهوم البلاغة منسوبا إلى النساء، ومعلوم أن البلاغة في مفهومها الكلاسيكي تحيل إلى معنى الحجاج والعكس صحيح؛ ولعل من المفيد هنا اجترار تلك الخلاصة التي ذهب إليها كثير من الباحثين، وهي "أن وراء كل حجاج بلاغة، والعكس صحيح، لأن مدار ذلك هو الإغراء والاستغواء قصد الإمتاع والإقناع. إن البلاغة هي قبل كل شيء عتاد بنائي وتبليغي يتوسله الخطيب، أو القائل عموما لفرض موضوعه أو رأيه أو قناعته، ولأجل كسب تأييد الآخر أو التأثير فيه"[١].

وبالنظر إلى هذا الفهم الكلاسيكي المتجدد لمفهوم البلاغة بوصفها حجاجًا، والحجاج بوصفه بلاغةً، فإن العنوان يفيدنا بإحالته الدلالية تلك إلى

١ – حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي: عناصر استقصاء نظري، سلسلة عالم الفكر، عدد (١)، يوليو –سبتمبر ٢٠٠١، ص١١٠.

طبيعته الحجاجية المهيمنة، ولما كان هذا الحجاج/ البلاغة منسوبا إلى المرأة، فإن المعالجة النقدية تفترض (وتسعى إلى اكتشاف) خصوصية ما لحجاج/ بلاغة هذا الكائن المؤنث (امرأة/ نساء) عبر استكشاف استراتيجيات الحوار الحجاجي بين تلكم النساء، وشخصية الخليفة الأموي (معاوية بن أبي سفيان) تحديدا، وذلك من خلال عينة بحثية حددها الباحث في عدة محاورات ممثلة للقضية البحثية.

موضوع الدراسة وأهميتها:

موضوع الدراسة هو استكشاف استراتيجيات الإقناع الحجاجي/الجدلي وآليات الإقناع في خطابات المرأة في كتاب "بلاغات النساء". وتكمن أهمية هذه الدراسة في جانبين رئيسين:

أولهما: من جهة المادة المدروسة، وهي كتاب بلاغات النساء، وما له من قيمة أدبية لما يشتمل عليه من نصوص عربية مائزة في بلاغتها، وفي موضوعاتها، فضلا عن انتمائه إلى ثلة من المدونات العربية التي اهتمت بإبراز بلاغة المرأة العربية تحديدا[1]؛ فيمثل الكتاب بذلك مادة كاشفة عن كثير من واقع

١ – ونذكر من هذه المدونات: الحدائق الغناء في أخبار النساء لأبي الحسن المعافري ت٦٠٥هـ، أخبار النساء لابن قيم الجوزية ت٧٥١هـ، والمستظرف من أخبار الجواري لجلال الدين السيوطي ت٩١١هـ... وغيرها الكثير مما وصل إلينا متنه وما لم يصلنا سوى عنوانه. يُنظر: شاكر هادي التميمي، ورائد حامد خضير، إشكالية تجنيس الخبر الأدبي: كتب أخبار النساء والجواري حتى نهاية القرن العاشر الهجري أنموذجا، بحث منشور في مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية – مجلد ١٧ – عدد٢ سنة ٢٠١٧م، ص٣٣، ٣٤. وكذلك: صلاح الدين المنجد، من تراثنا المفقود: ما ألف عن النساء، بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ١٦ جمادي الأولى ١٣٦٠هـ – عدد ٥، ص٢١٢ – ٢١٩.

المرأة العربية في تلك الحقبة المتقدمة، وسماتها الشخصية، وقدراتها اللسانية والبلاغية، فضلا عن حضورها الاجتماعي القوي، الذي تمثل في أقوى مظاهر هذا الحضور، وهو المحاورة الحجاجية مع الرجال، بل مع أعيان الرجال كالخليفة معاوية وغيره من رجالات الدولة والأدب والعلم.

وثانيهما: من جهة المعالجة النقدية؛ إذ تسعى هذه الدراسة المتواضعة إلى الإسهام في هذه التراكمية المتزايدة بشكل جلي خلال العقود الأخيرة للدراسات النقدية والبلاغية الساعية لإجلاء خصائص الخطاب الحجاجي عامة، وتلكم التي تهتم باستكشاف خصوصية الخطاب النسوي؛ إذ يؤمن بفرادة المرأة وجودا إنسانيا، وحضورا اجتماعيا، وإبداعا أدبيا، وهو ما يعظم قيمة مثل هذه الدراسة التي تسلط الضوء على شيء من هذه الفرادة، وتلك الخصوصية الأسلوبية والبلاغية لخطاب الأنثى في مرحلة من أنضج فترات حضارتنا العربية.

الدراسات السابقة:

بالنظر إلى عنوان هذه الدراسة يلزمنا في حديثنا عن الدراسات السابقة أن نعرج على مرتكزين اثنين؛ أولهما: النظرية (الحجاج)، وثانيهما: النص (بلاغات النساء لابن طيفور). أما الأول، وهو الحجاج؛ فنظرا لتشعب اهتماماته، وقدرته على التوغل في مجالات معرفية مختلفة؛ من فلسفة وبلاغة إلى جانب الدراسات اللسانية (التداولية تحديدا) والنقدية؛ بوصفه مرتكزا مهما للكلام ولعملية الاتصال، ولإنتاج الخطاب وإعطائه بعده التداولي، وسرا من أسرار البلاغة؛ فقد تعددت الدراسات النظرية والتطبيقية حول موضوعه، في الكتابات الغربية والعربية على السواء؛ وهي كثرة يتعذر معها الحصر؛ فنكتفي –عوضا عن ذلك– بكشف جانب من هذه الدراسات حول الحجاج من خلال ما تضمنته الدراسة من المصادر والمراجع ذات الصلة، التي رجع إليها الباحث وأفاد مما قدمته من رؤى وأطروحات ثرية.

وأما المرتكز الثاني، وهو نص كتاب "بلاغات النساء لابن طيفور"؛ فقد حظي هذا الكتاب –في ضوء قراءة الباحث واطلاعه– بعدد لا بأس به من الدراسات الجادة التي تتناسب مع ما للكتاب من أهمية؛ من حيث كونه نموذجا متميزا في تراثنا النثري الأدبي المبكر بصفة عامة، ومن حيث كونه نموذجًا معبرًا عن بلاغة المرأة العربية في أدبنا العربي القديم بصفة خاصة؛ ولعل من أهم ما وقعت عليه يد الباحث من دراسات تناولت هذا النص بالدرس النقدي[١]:

١- **أسلوب الكناية عن الصفة في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور**[٢]: وهي دراسة تستعرض دور الكناية في الدلالة غير المباشرة على المعنى، ومن ثم دورها في تعزيز العلاقة بين النص الإبداعي والمخاطب، عبر استثارة مشاعره وانفعالاته. حيث اتخذت الدراسة من كتاب بلاغات النساء نموذجا تطبيقيا لها.

٢- **الأجوبة المسكتة في نثر "بلاغات النساء "لـ" طيفور الخراساني": دراسة بلاغية**[٣]: وهي دراسة تهدف إلى استقراء نثر "بلاغات النساء"؛ لبيان الخصائص البلاغية التي ميزت أجوبة البليغات، وأسكتت من يعارضهن، أو حاول هضم حقوقهن، والإساءة لذويهن. وهو بحث جاد اجتهدت فيه

---

١ – ولمزيد من الاطلاع على الدراسات الأخرى حول هذا الكتاب ينظر: شيماء عبدالرحمن توفيق محمد، الأجوبة المسكتة في نثر "بلاغات النساء" لـ"طيفور الخراساني": دراسة بلاغية، حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية، مج ٣٦، ع ١ – يونيو ٢٠٢١م، حيث ذكرت في مقدمة دراستها ١٢ عملا بحثيا. يُنظر: ص٤٩٦ – ٤٩٨.

٢ – خليل عبدالسادة إبراهيم الهلال، وزينب عبدالله كاظم الموسوي، أسلوب الكناية عن الصفة في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور، مجلة كلية الآداب – جامعة الكوفة، مجلد ٩ – عدد ٢٧ – ٢٠١٦م.

٣ – شيماء عبدالرحمن توفيق محمد، الأجوبة المسكتة (مرجع سابق).

الباحثة، وأجادت في كشف ما سعت إلى كشفه من أساليب بلاغية في ردود النساء على محاوريهم من الرجال، ولكنه عام في بلاغة النساء من حيث أجوبتهن في مجمل الكتاب، دون تحديد نصوص بعينها، ولا تتبع استقصائي لأدوات الحجاج.

٣- **بلاغة المجادلة: قراءة في بلاغات النساء السردية**[١]: وهي دراسة محصورة في ثلاثة نصوص من الكتاب: هي نص "هند بنت النعمان والحجاج الثقفي"، ثم نص "كلام امرأة أبي الأسود الدؤلي"، وأخيرا نص "قصة دارمية الحجونية مع معاوية بن أبي سفيان"، وهي دراسة –حسب وصف صاحبها– تحليلية تأويلية تعتمد على الربط بين الخطابات اللغوية والتاريخية والاجتماعية.

٤- **كتاب "بلاغات النساء" لابن طيفور دراسة نقدية**[٢]: وهي دراسة نقدية عامة للكتاب، لا تختص بما نحن بصدده من دراسة أسلوب الحجاج في حوارات النساء.

أهداف الدراسة وتساؤلاتها:

أما عن أهداف هذه الدراسة النقدية، فتكمن في تسليط الضوء على استراتيجيات الخطاب الحجاجي، وأدوات الإقناع التي زخرت بها حوارات النساء مع الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وعلى وجه الخصوص تلك الموجهة من المرأة، كشفا لما شغلته المرأة في واقعنا الثقافي والحضاري العربي قديما من دور،

١ – حسن محمد النعمي، بلاغة المجادلة: قراءة في بلاغات النساء السردية، مجلة الدراسات العربية، ع ٨، مج١، جامعة المنيا– كلية دار العلوم ٢٠٠٣م.

٢ – سعاد مسعودي، كتاب "بلاغات النساء" لابن طيفور دراسة نقدية، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري. تيزي وزو. كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية. الجزائر ٢٠١٢.

وما اتسمت به من قدرة على الاتصال لغة، والإقناع والحجاج فكرا وبلاغة وحسن منطق. وهو أمر يمكن إجماله في عدة تساؤلات بحثية على هذا النحو:

١- كيف شكل خطاب المرأة العربية في هذه العصور المتقدمة نصًّا حجاجيًّا بلاغيًّا قادرًا على مناقشة الرجل ومواجهته بالحجة البلاغية والمنطقية؟

٢- ما أهم الآليات اللغوية والأسلوبية التي تم توظيفها في تلك الخطابات الحجاجية من كتاب "بلاغات النساء"؟

٣- ما أهم الآليات البلاغية التي تم توظيفها في تلك الخطابات الحجاجية؟

٤- ما أهم الآليات المنطقية والعقلية التي تم توظيفها في تلك الخطابات الحجاجية؟

مادة الدراسة ومنهجية البحث:

تتمثل مادة الدراسة في كتاب "بلاغات النساء" لابن طيفور، وتحديدا تلك العينة المختارة، وهي خمس محاورات، لها طرف ثابت لا يتغير، هو الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وطرف متغير تمثله إحدى نساء العرب ممن عُرفن بالفصاحة وحسن البيان، واللاتي ينتمين سياسيا وأيديولوجيا لأنصار الخليفة السابق علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ وهن: (أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب/ سودة بنت عمارة / الزرقاء بنت عدي / بكارة الهلالية / أم الخير بنت الحريش البارقية)*.

* لا يسع الباحث في مستهل هذه الدراسة إلا أن ينوه بالغرض البحثي الذي تتوجه إليه هذه الدراسة وهو بحث استراتيجيات الحجاج وتقنياته وأدواته في خطابات النساء العربيات في محاوراتهم مع رمز السلطة الخليفة معاوية، وهي إذ تسعى في هذه المقاربة النقدية غير معنية بأي مناقشة شرعية أو تاريخية لطبيعة الخلاف الذي نشب في هذا العصر، أطرافه معاوية وغيره من الصحابة والصحابيات ممن ذكروا في هذه المحاورات (رضي الله عنهم جميعا)، ونبرأ إلى الله من أي لفظ لا يليق في حق أحدهم أو إحداهن.

وتحقيقا لأفضل النتائج البحثية المرجوة، فقد اعتمدت الدراسة على المنهج التداولي متمثلا في معطيات النظرية الحجاجية، مع الأخذ بما أُثر عن بلاغيينا القدماء من مباحث بلاغية قيمة وأدوات منهجية ناجعة في استكشاف استراتيجيات الحجاج وآدابه وطرائقه اللغوية والبلاغية... إلخ.

خطة الدراسة:

تشتمل هذه الدراسة، فضلا عن هذه المقدمة، على تمهيد، وأربعة مباحث، على هذا النحو:

التمهيد: يعرف فيه الباحث تعريفا موجزا بمرتكزي الدراسة؛ وهما: كتاب "بلاغات النساء"، ومفهوم الخطاب الحجاجي/ الجدلي.

المبحث الأول: استعراض المحاورات موضع الدراسة.

المبحث الثاني: الآليات اللغوية والأسلوبية للحجاج.

المبحث الثالث: الآليات البلاغية للحجاج.

المبحث الرابع: الآليات المنطقية والعقلية للحجاج.

ثم خاتمة تجمل ما توصلت إليه الدراسة من نتائج.

تمهيد:

كتاب بلاغات النساء[١]:

ليس أبلغ في التعريف بهذا الكتاب من تصدير مؤلفه ابن طيفور له؛ حيث يقول: "هذا كتابُ بلاغات النساء وجواباتهن وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن، على حسب ما بلغته الطاقة، واقتضته الرواية، واقتصرت عليه النهاية، مع ما جمعنا من أشعارهن في كل فن مما وجدناه يجاوز كثيرا من بلاغات الرجال المحسنين والشعراء المختارين، وبالله ثقتنا وعليه توكُّلُنا"[٢]. كما يقول محققه مبينا قيمة الكتاب كذلك: "هذا الكتاب في بلاغات النساء ومحاضراتهن شعرا ونثرا في جميع أفانين الكلام، وهو خلاصة منتخبة من صميم البلاغات العربية المروية عن النساء. تتخللها شذرات طريفة من فصح الرجال التي قضى سياق الكلام بذكرها- يطبع في نفس قارئه ملكة البيان ويشرف الناظر فيه على معارف مفيدة في اكتناه كثير من الأحوال الاجتماعية عن المرأة العربية في الجاهلية وصدر الإسلام"[٣].

وهكذا يكتسب كتاب "بلاغات النساء" أهمية بالغة ضمن نصوص التراث العربي، وهي أهمية يكتسبها لاعتبارات عدة؛ أول هذه الاعتبارات: مادته الأدبية الراقية التي تمثل نموذجا للإبداع الأدبي الماتع بما يتضمنه من نصوص نثرية وتوشيات شعرية على السواء. وثاني هذه الاعتبارات هو مكان مؤلفه في مصاف أدباء العربية وعلمائها؛ فهو ابن طيفور "أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر" أحد أعلام القرن الثالث الهجري (ت: ٢٨٠ هـ)؛ يترجم له الصفدي فيصفه بأنه "أحد

١ – ابن طيفور (أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر)، بلاغات النساء، تحقيق: أحمد الألفي، طبع: مطبعة مدرسة والدة عباس الأول – القاهرة – ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م.

٢ – السابق نفسه، ص٣.

٣ – السابق نفسه، مقدمة المحقق، ص: ث.

البلغاء الشعراء الرواة من أهل الفهم المذكورين بالعلم"[١]. وثالث هذه الاعتبارات وأهمها: ما يتفرد به هذا المؤلَّف من تغطية أحد الجوانب الأقل حظا (أو هكذا يُظَنُّ) في تراثنا العربي؛ وهو جانب إسهام المرأة العربية في مناحي الحياة عامة، والحياة الأدبية بصفة خاصة؛ فالكتاب يأتي برهانا جليا غير قابل للتشكيك على مركزية المرأة في الحياة العربية العامة، فهي محرض قوي في ساحات النزاع السياسي، ولسان فصيح في ميدان الخطابة وبلاغة المحاورة والسجالات الأدبية. والكتاب –إضافة إلى كل هذه الاعتبارات– يعد مرآة صادقة لجوانب مهمة في حياة المجتمع العربي في العصرين الجاهلي والإسلامي.

مفهوم الخطاب الحجاجي واستراتيجياته:

بداية وجب على الباحث التنويه إلى منهجه في توظيف المصطلح الرئيس لهذه الدراسة، وهو مصطلح "الحجاج"، وهو توظيف يقوم على المناوبة في الاستخدام بين المصطلحين (حجاج – جدل) احتراما لما بين المصطلحين من تشابه قاربَ حد الترادف والمطابقة، وخصوصا في كتابات القدماء من معاجم وكتابات بلاغية[٢]، فضلا عن وجود شيء من هذا التشابه ذاته في كتابات الغرب، وخاصة لدى فلاسفة اليونان القدماء؛ حيث تضرب تعريفات الجدل والحجاج بجذورها بعيدا في التراث اليوناني القديم، على يد فلاسفة اليونان ومفكريهم، ومن ذلك تعريف سقراط للجدل بأنه: "مناقشة تقوم على حوار وسؤال

١ – الصفدي (صلاح الدين)، الوافي بالوفيات، ضمن الموسوعة الشعرية. كما يصفه محقق كتاب "بلاغات النساء" كذلك بقوله: "إمام من أعلام القرون الأولى الذين أخذوا اللغة وآدابها عن العرب الصميم" ابن طيفور، بلاغات النساء، المقدمة: ص: ث.

٢ – لتفصيل هذه المسألة يُنظر: عبدالله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي – بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م، ص١٠ – ١٧.

وجواب"[1]، والجدل –وفق هذا التعريف– قائم ابتداء على وجود طرفين على الأقل، هما: الأنا.. والآخر، والعلاقة بين هذين الطرفين علاقة توتر قوامها الأخذ والرد، أو التأثير والتأثر، أو هي علاقة تخاصم واختلاف في بعض الحالات، ومن ثم فإن الجدل قائم على هدف استراتيجي من قبل الأنا/ المجادل، وهو "الإقناع"، ثم إن هذا الإقناع قد يكون هدفًا متبادلاً بين الأنا والآخر، حينما يأخذ الجدل شكلاً حواريًّا أكثر تفاعلية، يسعى فيه كل طرف من الطرفين إلى إقناع الآخر. كما هو الحال في نصوصنا الحوارية المختارة لهذه الدراسة، والقائمة على سجال متبادل بين النساء المختارات ومعاوية ومن معه من الرفاق والجلساء.

إن الباحث إذًا إزاء تمييز بين نوعين من النصوص: نص يهدف إلى الإقناع كون هذا النص محض اتصال يصدر عن ذات منتجة تستحضر بالضرورة ذاتًا أخرى متلقية للرسالة التي يحملها النص، وتسعى بالضرورة إلى إقناعها "أي التأثير فيها فكرًا أو سلوكًا". ونص آخر يهدف –كسابقه– إلى الإقناع، إلا أنه يتميز عنه من حيث صدوره عن موقف خلافي حقيقي بين طرفين يعرضه النص في ثناياه، كما يتميز عنه في توسله بآليات وتقنيات جدلية منطقية ولغوية محددة مميزة له عما سواه.

وهكذا فالخلاف بين المتحاورين والصدام الأيديولوجي بينهما هو الوقود الأول الذي يسعر ذلك النوع الثاني من النصوص الحجاجية التي يتغيا فيها المتكلم بكل ما أوتي من قوة إقناع الآخر بحجته والانتصار لرأيه وقضيته؛

١ – مجدي وهبة، وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط٢ – ١٩٨٤، مكتبة لبنان، بيروت مادة: "الجدل".

وبإيجاز فإنه يمكننا القول: إن "الحاجة إلى الإقناع ضرورة فرضتها التدخلات والصدامات بين الأفكار والثقافات المنتشرة في العالم"[١].

ومن الواضح أن مفاهيم الخطاب والحجاج والجدل وما يتفرع عنها من مفاهيم كالحجة والبرهان والدليل والاستدلال والإقناع ...إلخ، هي مفاهيم أصيلة في تراثنا العربي القديم، عالجتها معاجمنا العربية، كما وجدت مكانها اللائق في مؤلفات فلاسفة العرب ونقاده ومفكريه، قبل أن تتبلور في صورة نظريات فلسفية وأخرى بلاغية، أو لسانية وتداولية على أيدي أعلام الفكر والثقافة الغربيين. ومثال ذلك مصطلح الخطاب؛ ففي واحدة من أبسط وأقدم تعريفاته لدى أبي البقاء الكفويّ (ت١٠٩٤هـ)، هو "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"[٢]. ولا شك أن هذا التعريف رغم ما تراكم بعده حديثا من تعريفات شتى للخطاب تأخذ بلبابه إلى حقول واتجاهات متباعدة، قد أصاب الغاية التداولية للخطاب بوصفه عملية كلامية تتم بين طرفين، وتقوم على الإفهام وما يتفرع عنه من تأثير وإقناع؛ ولعل هذا ما دفع الباحث إلى الوقوف عند هذا التعريف دون ما سواه؛ بوصفه تعريفا ممهدا وملائما لمفهوم الحجاج/الجدل الذي هو لب هذه الدراسة ومرتكزها.

وبالانتقال إلى مفهوم الحجاج/ الجدل يجد الباحثُ المصدرَ السابق ذاته يعرف الجدل بقوله: "هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجةٍ

---

١ – سماح بن خروف، الآليات الحجاجية وأبعادها الجمالية في الخطاب الإصلاحي لمحمد البشير الإبراهيمي خطبة "الأمية" أنموذجا"، مجلة الآداب واللغات، عدد٧ – يناير ٢٠١٨م، ص١١٧.

٢ – الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسين، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، قابله وأعده للطبع: عدنان درويش، ومحمد المصري، طبع: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، الخطاب: ص٤١٩.

أو شبهةٍ، وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره. والنظر قد يتم به وحده"[١]. كما يقول الجرجاني (ت٨١٦هـ) –في تعريفاته– "الجدل عند المنطقيين دفع المرء خصمه عن إفساد قوله، بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة، والجدل هو قياس المؤلف من المشهورات. والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان"[٢].

أما عن التصورات والتعريفات الغربية الحديثة للحجاج فقد "أعيد تأسس الدراسات الحجاجية في النصف الثاني من القرن العشرين انطلاقا من أعمال ش. برلامان ول. ألبراخت – تيتاكا (١٩٧٠)، وس. تولمان (١٩٥٨)، وكل. هميلان (١٩٧٠)، وكذلك أعمال ج. ب. غرايز وأ. ديكرو في السبعينات"[٣]. كما سنكتشف أن هذه التصورات والتعريفات الغربية تحيل –لدى كثير من المنظرين– إلى صلب التصور القديم للخطابة، ومن ثم إلى مفاهيم الحجاج والجدل؛ فنقابل –مثلا– التعريف الكلاسيكي لما يسمى بـ"النظرية الحجاجية" لدى ش. برلمان ول. أولبراخت –تيتاكا، والذي يقضي بأن موضوع النظرية الحجاجية هو "دراسة الفنيات الخطابية التي تمكن من الحصول على موافقة العقول على الأطروحات التي تعرض عليها أو دعم موافقتها"[٤].

وفي إطار آخر، وفي سعي لاستكشاف خصوصية الخطاب الحجاجي عما سواه من أنماط الخطاب الأخرى يميز دي بوجراند بين النصوص المختلفة

---

١ – أبو البقاء الكفوي، الكليات، الجدل: ص٣٥٣.

٢ – الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق د. عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، إيداع ١٩٩١، مادة: الجدل.

٣ – باتريك شارودو، ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبدالقادر المهيري، وحمادي صمود، طبع المركز الوطني للترجمة– تونس ٢٠٠٨، ص٦٨.

٤ – السابق نفسه، ص٦٨.

وفق ما أسماه "مركز الضبط"، وهو يجعل مركز الضبط في النصوص الحجاجية/الجدلية "Argumentative" هو "قضايا كاملة تنسب إليها قيم صدق Values of truthfullness وأسباب Reasons لاعتقاد كونها حقائق... ويغلب أن يكون هنالك تعارض بين القضايا التي تتصادم فيها القيمة كونها موصوفة بالصدق..."[١]. وهو بهذا التوصيف يشير إلى آليتين متكاملتين لاشتغال النص الحجاجي هما:

آلية اشتغال داخلي (أو ذاتي)؛ حيث السعي إلى إثبات قيم الصدق إلى قضية مطروحة، أو فكرة يسعى صاحبها إلى إثباتها وتدعيمها.

آلية اشتغال خارجي، من خلال التعارض بين هذه القضية التي يتبناها المتكلم وقضية –أو قضايا– أخرى مخالفة، وهو في هذا السياق يسعى إلى تدعيم قضيته في مواجهة غيرها من القضايا، وغالبًا ما يستلزم ذلك إقامة بنية جدلية حوارية بين الأنا (صاحب القضية) والآخر أو الآخرين (أصحاب القضية أو القضايا الأخرى المعارضة).

وهكذا يكون لزامًا على الخطاب الحجاجي الجمع بين فعلين خطابيين متلازمين، هما تدعيم قضيته (موقفه)، ونقض قضايا (مواقف) الآخرين (الخصوم)، وهذا بالضبط ما عبر عنه "شيفرين" في تحديده لمفهوم الحجاج؛ فهو عنده: "جنس من الخطاب، تَبْنِى فيه جهود الأفراد دعامة مواقفهم الخاصة، في الوقت نفسه الذي ينقضون فيه دعامة موقف خصومهم"[٢].

---

١ – روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: د. تمام حسان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، عالم الكتب، القاهرة، ص ٤١٥، ٤١٦.

٢ – محمد العبد، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، ع ٦٠ صيف – خريف ٢٠٠٢، ص٤٤.

وفي محصلة إجمالية لهذه المفاهيم، القديم منها والحديث، العربي منها والغربي، يخلص الباحث إلى أن الخطاب الحجاجي هو سلوك إنساني متواتر في كافة وقائع الاتصال، وله أدواته وآلياته واستراتيجياته التي تعمل معا على دعم خطاباتنا لتلقى القبول العقلي والوجداني لدى الآخرين سواء أكانوا مخاطبين بشكل مباشر في حوار اتصالي، أو بشكل غير مباشر بوصفهم متلقين لنص مقروء في صحيفة أدبية أو غير أدبية؛ وبذلك "يصبح الحجاج بعدا جوهريا في اللغة ذاتها، مما ينتج عن ذلك أنه حيثما وجد خطاب العقل واللغة فإن ثمة استراتيجية معينة نعمد إليها لغويا وعقليا، إما لإقناع أنفسنا أو لإقناع غيرنا. وهذه الاستراتيجية هي الحجاج ذاته. وهي تستمد خصائصها وقيمتها من الحقل الذي تتحقق فيه ويعطيها الشرعية. وقد يكون هذا الحقل هو الحياة اليومية للناس وقيمهم، أو يكون هو الفكر والتفكير من أبسط درجاته إلى أكثرها تعقيدا وتجريدا"[1].

إن الاقتباس السابق يحيلنا إلى حقلين مهمين لاستراتيجيات الحجاج وآلياته: حقل لغوي وحقل عقلي، وهما في ظني حقلين عامين يندرج تحتهما صور وألوان شتى من الحجج والبراهين.... إلخ. وعلى ذلك فإن انتصار المتكلم/ المؤلف لقضيته في مقابل القضية/ القضايا الأخرى يلزمه التوسل بآليات حجاجية (منطقية ولغوية وبلاغية) محددة، وهي ما ستسعى الدراسة إلى تجليته في مباحثها المختلفة.

١ – حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص٩٩ – ١٠٠.

المبحث الأول: استعراض المحاورات موضع الدراسة:

تتناول هذه الدراسة خمس محاورات، لها طرف ثابت لا يتغير، هو الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه*، وطرف متغير تمثله إحدى نساء العرب ممن ينتمين سياسيا وأيديولوجيا لأنصار الخليفة السابق علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ وهن: (أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب/ سودة بنت عمارة / الزرقاء بنت عدي / بكارة الهلالية / أم الخير بنت الحريش البارقية). وقد اتفقت المحاورات الخمسة في جوانب واختلفت في جوانب، وهو الأمر الذي يلزم لبيانه استعراض سريع لظروف كل محاورة؛ من حيث المكان، والزمان،

* هو صحابي جليل ذكره ابن الأثير في أسد الغابة؛ وذكره الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني في الإصابة. وهو: معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي. أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس. ولد قبل البعثة خمس سنين على الأشهر، أسلم هو وأبوه وأخوه يزيد وأمه هند في الفتح، وحكى الواقدي أنه أسلم بعد الحديبية وكتم إسلامه حتى أظهره عام الفتح. ولي الشام في خلافة عمر بن الخطاب، واستمر عليها في خلافة عثمان، فلما قتل عثمان رفض مبايعة علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم جميعا)، مطالبا بدم عثمان، فكان ما كان من قتال بينهما في وقعة صفين، وانتهى الأمر بمقتل علي بن أبي طالب، وتسليم الحسن بن علي لمعاوية، حيث اجتمع الناس على خلافته التي استمرت قرابة عشرين سنة (من سنة ٤١ – ٦٠هـ). ومما ورد في وصفه قول أبي نُعَيم عنه: كان من الكتبة الحسبة الفصحاء، حليما وقورا. وللمزيد حول ترجمته يُنظر: ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجذري)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، طبع دار ابن حزم – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م، ٤٩٨٦، ص١١٤٥ – ١١٤٧. والعسقلاني (أحمد بن علي بن حجر)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبدالجواد، وعلي محمد معوض، طبع دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، ج ٦، ٨٠٨٧، ص١٢٠ – ١٢٢.

وملابسات الموقف الحواري، فضلا عن النتيجة التي أفضت إليها المحاورة؛ وذلك على النحو الآتي:

١- المحاورة الأولى: محاورة أروى بنت الحارث*:

يعنونها ابن طيفور في كتابه بقوله: "كلام أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب رحمة الله عليها". ومستهلها: "روى ابن عائشة عن حماد بن سلمة عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: دخلت أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب على معاوية بن أبي سفيان بالموسم، وهي عجوز كبيرة، فلما رآها قال: مرحبا بك يا عمة. قالت: كيف أنت يا بن أخي؟! لقد كفرت بعدي بالنعمة وأسأت لابن عمك الصحبة، وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقك، بغير بلاء كان منك ولا من آبائك في الإسلام. ولقد كفرتم بما جاء به محمد صلى الله عليه فأتعس الله منكم الجدود، وأصعر منكم الخدود، حتى رد الله الحق إلى أهله وكانت كلمة الله هي العليا ونبينا محمد ﷺ هو المنصور على ما ناواه، ولو كره المشركون..."[١].

وهكذا بدأت المحاورة بهجوم عنيف من قبل المرأة "أروى بنت الحارث" على الخليفة "معاوية بن أبي سفيان"؛ مما استفز اثنين من جلساء الخليفة للرد

* ذكرها ابن سعد في طبقاته في "الصحابيات" في بنات عم النبي ﷺ؛ فهي أروى بنت الحارث بن المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَي، وأمها غُزَية بنت قيس. تزوجها أبو وداعة بن صبرة بن سعيد بن سعد بن سهم فولدت له المطلب وأبا سفيان وأمَّ جميل وأم حكيم والربعة بني أبي وداعة. يُنظر: ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الزهري)، كتاب الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، نشر مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، ج١٠، ٤٩٥٠، ص٥٠. ويُنظر كذلك: العسقلاني، الإصابة، ج٨، ١٠٧٨٨، ص٧.

١ – ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ٣٢.

عليها، وهما: عمرو بن العاص* ومروان بن الحكم*، فما زادها ردهم إلا تجرؤا وهجوما على شخصهما ونسبهما، الأمر الذي اضطر الخليفة معاوية للتدخل إنهاء لهذا الحوار الساخن؛ موجها اللوم لجليسيه بقوله لمروان وعمرو: "ويلكما أنتما عرضتماني لها وأسمعتماني ما أكره..."[١]. ليكمل حديثه مع المرأة طالبا منها الكشف عن قصدها وحاجتها، فتطلب منه أن يبسط لها العطاء ستة آلاف دينار، وتنتهي المحاورة بتلبية حاجتها، بعد بلوغها في مقارعة معاوية غايتها، وإعرابها عن فصيح القول وإبانة اللفظ وقوة الحجة، وجرأة اللسان، مع ما تتمتع به من حصانة المقام.

* هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي، صحابي جليل، وهو الذي أرسلته قريش إلى النجاشي ليسلم لهم المسلمين المهاجرين إلى الحبشة، فلم يفعل، وقيل إنه أسلم وهو عند النجاشي بالحبشة وقيل أسلم سنة ٨ هجرية قبل فتح مكة، له في الإسلام فضل، استعمله النبي على عُمان، وقال فيه: "أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص". ولاه أبو بكر بلاد الشام، ووجهه عمر بن الخطاب في خلافته إلى مصر ففتحها، وهو أحد الحكمين في الخصومة التي دارت بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، حيث كان ممن عاضد معاوية وأيده ضد علي (رضي الله عنهم جميعا) ومات سنة ٤٣ على ما رجح ابن الأثير. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، ٣٩٧٢، ص٩٤٢ – ٩٤٤.

* هو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية أحد خلفاء بني أمية، ذكر ابن الأثير (في أسد الغابة) أنه لد على عهد رسول الله ﷺ، سنة ٢ هجرية في بعض الأقوال، وتولى الخلافة الأموية بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية، وكانت ولايته أقل من عام، ثم مات. ينظر: السابق نفسه، ٤٨٥٠، ص١١١٨، ١١١٩.

١ – ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ٣٤.

وفي هذه المحاورة –كما يرى الناظر– عدة معطيات:

أولا: الزمـان: الموسم، وهو موسم الحج، مع ما تستحضره تلك القرينة الزمانية المهمة من جو روحاني قوامه تقوى الله، واستحضار عظمته، والتذلل بين لديه، وهي كلها معطيات لها دور مهم في إلانة جانب المخاطب (الخليفة معاوية) في مواجهة حديث المرأة "أروى بنت الحارث" وما تضمنه من هجاء وتطاول على ما سيتبين بعدُ.

ثانيا: المكـان: مكة المكرمة، وهو إن لم يذكر صراحة مفهوم ضمنا بالإشارة إلى موسم الحج؛ وكما كان للقرينة الزمانية دورها وأهميتها، فإن المكان هنا أيضا له دوره الذي لا يقل أهمية، فالمكان "مكة" من جهة له قداسته وحرمته، فهي البلد الحرام، مع ما يوجبه ذلك من تأدب في الحديث وتلطف في القول، واقتصاد في الخصومة. لكنه فضلا عن ذلك يمثل مكانا خاصا ومركز قوة لأحد طرفي الحوار، وتحديدا للمرأة "أروى بنت الحارث"؛ إذ إن مكة هي مستقرها ودارها ودار قومها من بني هاشم، في مواجهة الخليفة "معاوية" الوافد من دار الخلافة بدمشق. ذلك أن "معاوية" وإن كان منتسبا إلى مكة (فهو قرشي النسب)، وإن كان خليفة وأميرا للمؤمنين، يظل –بدرجة ما– في مقام الضيف على المضيف.

ثالثا: ملابسات اللقاء: وتتمثل هنا في الدخول المباشر من قبل المرأة "أروى بنت الحارث" على الخليفة "معاوية بن أبي سفيان"؛ فاللقاء هاهنا ترجمة رغبة وقصد من المرأة على خلاف ما سنرى في حوارات أخرى. فضلا عن ذلك ضم الحوار إلى جانب طرفيه الرئيسين (الخليفة والمرأة) اثنين من جلساء الخليفة؛ هما: عمرو بن العاص، ومروان بن الحكم. وقد كان لهما نصيب ودور في استظهار بلاغة المرأة، واستثارة خصومتها التي بلغت حد الهجاء المقذع والسب المبالغ فيه لهما والطعن المبطن في نسبهما.

رابعا: حال المرأة ومقامها: وذلك من حيث كونها بنت عم رسول الله، مع ما لآل البيت من مقام ومكانة، رغم ما تعرضوا له من تنكيل وقتل على يد الأمويين. ثم من حيث كبر سنها، الذي يترجمه وصف الراوي لها: "وهي عجوز كبيرة" مع ما تقتضيه هذه القرينة من هيبة للمرأة وجدت أثرها في رد فعل الخليفة معاوية: "فلما رآها قال مرحبا يا عمة".

إن هذه القرائن مجتمعة قد أضفت –على ما يبدو– قوة وجرأة للمرأة في حديثها مع الخليفة كما سنفصل بعدُ.

خامسا: النتيجة: يمكن القول إن هذه المحاورة الأولى قد انتهت بإذعان الخليفة "معاوية" لطلب المرأة "أروى بنت الحارث" مجيزا لها العطاء بعدما استقصى منها عن كل باب من أبواب إنفاقها؛ حيث قال: "نعم الموضع وضعتها، هي لك نعم وكرامة"[١]. ورغم محاولة الخليفة "معاوية" أن يقلب نتيجة المحاورة لصالحه معنويا؛ فإن صنيعه هذا لم يفلح أمام صلابة المرأة وحسن بلاغتها وقوة حجتها في دحض منطق محاورها؛ وشرح ذلك ان معاوية أراد أن يحقق انتصاره عليها بهدم مبررات غضبها وانتصارها لغريمه الخليفة السابق "علي بن أبي طالب"؛ حيث قال مقارنا بين صنيعه السخي معها، وما كان يُتوقع من غريمه "علي بن أبي طالب": "أمَا والله لو كان عليٌّ ما أمر لك بها"[٢]. فما كان من المرأة إلا أن صدَّقت قوله، لكنها قلبت حجته عليه بقولها: "صدقت، إن عليا أدى الأمانة وعمل بأمر الله وأخذ به وأنت ضيعت أمانتك وخنت الله في ماله فأعطيت مال الله من لا يستحقه ..." [٣]. وهو الأمر الذي أفضى إلى حسم نتيجة المحاورة لصالحها بشكل قطعي حينما سلَّم لها معاوية؛ "فأمر لها بستة

١ – ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ٣٤.

٢ – السابق نفسه، ص ٣٤.

٣ – السابق نفسه، ص ٣٤.

آلاف دينار وقال لها: يا عمة أنفقي هذه فيما تحبين، فإذا احتجت فاكتبي إلى ابن أخيك يحسن صفدك ومعونتك إن شاء الله"[١].

٢- المحاورة الثانية: محاورة سودة بنت عمارة*:

يعنونها ابن طيفور في كتابه بقوله: "كلام سودة بنت عمارة رحمها الله". ومستهلها: "قال أبو موسى عيسى بن مهران: حدثني محمد بن عبيد الله الخزاعي يذكره عن الشعبي، ورواه العباس بن بكار عن محمد بن عبيد الله قال: استأذنت سودة بنت عمارة بن الأسك الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان فأذن لها، فلما دخلت عليه قال: هيه يا بنت الأسك ألست القائلة يوم صفين:

شمر كفعل أبيك يا ابن عمارة ... يوم الطعان وملتقى الأقران

وانصر عليا والحسين ورهطه ... واقصد لهند وابنها بهوان.

إن الإمام أخو النبي محمد ... علم الهدى ومنارة الإيمان"[٢].

وتستمر المحاورة بين هجوم من معاوية وتذكير بما مضى من موقف المرأة وقومها في معاداة معاوية وقومه، إلى أن تفضي إليه بحاجتها وهي الشكوى من بطش أحد عماله بها وبقومها، وتجاوزه في حقوقهم بالباطل، إلى أن تنتهي

---

١ - السابق نفسه، ص ٣٥.

* ذكرها سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان في أحداث سنة ٦٠ في الوافدات على معاوية تحت عنوان "سَوْدَة بنت عُمارة بن زهير الهَمْدَانيَّة" مكتفيا بإيراد قصة وفودها على معاوية: "وفدت على معاوية، وكانت ممن شهدن صِفِّين مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال لها: ...". ينظر: سبط ابن الجوزي (شمس الدين ابي المظفر يوسف بن قز أوغلي بن عبدالله، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد رضوان عرقسوس، طبع دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى ٢٠١٣م - ١٤٣٤هـ، ج٨، ص٩٢ - ٩٤.

٢ - ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ٣٥.

المحاورة بحصول المرأة على غايتها باستكتابها الخليفة –بعد طول حيلة ومغالبة بالحجة– لها ولقومها بالنَّصَفة من هذا العامل.

وفي هذه المحاورة من المعطيات:

أولا: المكان: وهو قصر الخلافة، الذي يعد بمثابة حصن لأحد طرفي الحوار، وهو الخليفة معاوية، ففيه مصدر قوته، وأسباب منعته، وإليه يقصد عامة الناس كلٌّ بحاجته. أما بالنسبة للمرأة فهو القصر المهيب الممثِّل لسلطة الحاكم وقهره وجبروته، لكن هذا لم يمنعها من التجاسر بالذهاب إليه، وطلب الحديث إلى صاحب السلطة فيه "الخليفة معاوية". ولا شك أن هذا قد انعكس أثره في فعل الاستئذان في مستهل الحكاية "استأذنت"، وذلك على خلاف ما يجده القارئ لمحاورة أروى بنت الحارث السابق ذكرها، والتي تفيد دخولها هكذا دونما استئذان*، وهي إشارة لغوية مهمة في كشف التفاوت الواضح بين موقف المتحاورين في كلا الموقفين.

ثانيا: ملابسات اللقاء: كما سبقت الإشارة فقد نتج الحوار عن لقاء دافعه الأول رغبة المرأة في بث شكواها إلى الخليفة "معاوية"؛ وهو ما دفعها إلى تجشم الصعاب وصولا إلى قصر الخلافة، واستئذانها للمثول بين يدي الخليفة، تفضي إليه بحاجتها، في حوار جمع بين استجداء العدل والإنصاف من صاحب السلطان "الخليفة معاوية" وبين عزة المرأة العربية وأنفتها، التي تجلت في إعلانها عن موقفها الأيديولوجي الموالي للخليفة الراحل علي بن أبي طالب والاعتراف

* لا يعني ذلك ضرورة دخول المرأة (أروى بنت الحارث) على الخليفة بلا استئذان، فغالب الأمر أنها إنما دخلت عليه بعد ما هو متعارف عليه من تقاليد الدخول على الخليفة من استئذان، لكن ما لا شك فيه أن عدم ذكر الاستئذان في المحاورة الأولى وذكره هاهنا هو نوع من المناسبة للتفاوت في مقام الموقف بين المحاورتين.

بعداوتها وعداوة قومها للخليفة الحالي "معاوية بن أبي سفيان"، ثم تجلت في إصرارها على أخذ الحق كاملا عاما لها ولقومها، غير قاصر عليها.

ثالثا: النتيجة: انتهت المحاورة –كما أشرنا– بحصول المرأة على غايتها باستكتابها الخليفة –بعد طول حيلة ومغالبة بالحجة– لها ولقومها بالنصفة من هذا العامل "قال اكتبوا لها ولقومها"[1].

٣– المحاورة الثالثة: محاورة الزرقاء بنت عدي*:

يعنونها ابن طيفور في كتابه بقوله: "كلام الزرقاء بنت عدي". ومستهلها: "وقال عيسى بن مهران: حدثني العباس بن بكار... قال: سمر معاوية ليلة فذكر الزرقاء بنت عدي بن غالب بن قيس امرأة كانت من أهل الكوفة وكانت ممن يعين عليا عليه السلام يوم صفين، فقال لأصحابه أيكم يحفظ كلام الزرقاء فقال القوم كلنا نحفظه يا أمير المؤمنين قال: فما تشيرون عليّ فيها؟! قالوا: نشير عليك بقتلها. قال: بئس ما أشرتم عليّ به؛ أيحسن بمثلي أن يتحدث الناس أني قتلت امرأة بعدما ملكت وصار الأمر لي؟! ثم دعا كاتبه في الليل فكتب إلى عامله في الكوفة أن أوفد إليّ الزرقاء ابنة عدي مع ثقة من محرمها وعدة من

---

١ – السابق نفسه، ص ٣٧.

* هي الزرقاء بنت عديّ الهَمْدانية (ت ٦٠هـ) خطيبة من ذوات الشجاعة، من أهل الكوفة. ذكرها سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان قائلا: "وفدت عليه (معاوية) بدمشق، وكانت امرأة فصيحة، جزلة الرأي، سريعة الجواب، وكانت أيام صِفِّين تقوم بين الصفوف، وتحرض الناس على قتال معاوية، وكانت تحب أمير المؤمنين علي رضي الله عنه" ثم ذكر تفاصيل وفودها على معاوية ومحاورتها له. ينظر: سبط ابن الجوزية، مرآة الزمان، ج٨، ص٩١، ٩٢. وينظر كذلك: الزِّرِكْلِي (خير الدين)، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، طبع دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة ١٥ – مايو ٢٠٠٢م، ج٣، ص٤٤.

فرسان قومها، ومهدها وطاء لينا واسترها بستر حصيف، فلما ورد عليه الكتاب ركب إليها فأقرأها الكتاب فقالت: أما أنا فغير زائغة عن طاعة وإن كان أمير المؤمنين قد جعل المشيئة إليّ لم أرم من بلدي هذا وإن كان حكم الأمر فالطاعة له أولى بي، فحملها في هودج وجعل غشاءه حبرا مبطنا بعصب اليمن، ثم أحسن صحبتها ... فلما قدمت على معاوية قال لها مرحبا وأهلا خير مقدم قدمه وافد، كيف حالك يا خالة؟ وكيف رأيت مسيرك؟ قالت: خير مسير..."[١].

وفي هذه المحاورة من المعطيات:

أولا: الزمان: يؤدي الزمان هنا دورا مهما في توجيه بدء الحكاية وصولا إلى مسار الخطاب الحجاجي بين معاوية ومحاورته "الزرقاء بنت عدي"؛ ولكن الزمان المقصود هنا هو زمن عام، زمن تولي الخليفة معاوية بعد أن استتب له الحكم؛ وهو مؤشر زماني ورد على لسان معاوية نفسه زاجرا به جلساءه حينما أشاروا عليه بقتل المرأة "الزرقاء بنت عدي"؛ حيث قال لهم: " وهذا ما تجلى في رد معاوية على ندمائه وجلسائه حينما أشاروا عليه بقتل المرأة؛ فزجرهم قائلا: "بئس ما أشرتم عليّ به؛ أيحسن بمثلي أن يتحدث الناس أني قتلت امرأة بعدما ملكت وصار الأمر لي؟!". إذ إن هذا المؤشر الزماني مهم لكونه –بما تضمنه من سياق تاريخي متمثل في الانتصار والتمكين– قد أفاض على قلب معاوية رغبة في تأليف القلوب، وأذهب من قلبه الرغبة في الانتقام والبطش والتنكيل، ولولا هذا الوعي من قبل معاوية بظروف السياق الزمني ومتطلباته في مقام الحكم والخلافة، لكان من الممكن أن تنتهي هذه المحاورة قبل بدئها، وأن نُحرم من هذه البلاغة الحوارية الحجاجية المتبادلة بين المرأة والخليفة معاوية.

١ – السابق نفسه، ص ٣٧، ٣٨.

ثانيا: المكان: قصر الخلافة على ما بينا من رمزيته بوصفه حصنا للخليفة معاوية، ومصدر مهابة وإجلال لعامة الناس، ومنهم الوافدة المستدعاة "الزرقاء بنت عدي"، التي أمر الخليفة معاوية عامله على الكوفة بإحضارها إليه من دارها بالكوفة إلى مقر الخلافة بدمشق، وهو انتقال مكاني، لا شك يسلب المرأة –مهما صاحبه من مظاهر الإكرام– شيئا من قوتها ومنعتها. ولعل في حرص الخليفة على توفير أسباب الطمأنة لمحاورته "مع ثقة من محرمها وعدة من فرسان قومها، ومهدها وطاء لينا واسترها بستر حصيف" ما يعكس خبرته وحنكته، متجلية في رغبته تحقيق بيئة مناسبة لما يرغب في إجرائه من محاورة مع المرأة، في مشهد من جلسائه، استظهار لحلمه، وجميل صفحه، وحسن معاملته لخصومه.

ثالثا: ملابسات اللقاء: اللقاء وما دار فيه من محاورات جاء بناء على رغبة الخليفة معاوية، حيث قدمت المرأة إلى قصر الخلافة بدعوة من الخليفة مصحوبة بآيات الاعتناء والإكرام التي تجلت في تلكم التنبيهات التي وجهها الخليفة لعامله بحسن المعاملة، والترفق في حملها إلى دار الخلافة، وهو لقاء جاء بقصد مسبق من الخليفة، وفي ظل سياسة متعمدة من مقام الخلافة تتمثل في تجميل صورة الخليفة، وإصلاح ما قد أصابها جراء ما تأسست عليه من فتنة وصراع مع آل البيت ومن والاهم من الصحابة والتابعين. وهذا ما تجلى في رد معاوية على ندمائه وجلسائه حينما أشاروا عليه بقتل المرأة؛ فزجرهم قائلا: "بئس ما أشرتم عليّ به؛ أيحسن بمثلي أن يتحدث الناس أني قتلت امرأة بعدما ملكت وصار الأمر لي؟!". ومن ثم فالحوار محكوم مسبقا برغبة الخليفة في استضافة المرأة ومحاورتها، وهي رغبة لاقت إذعانا من المرأة ينبئ عن حكمة في التعامل مع المواقف، وتقديرها قدرها، وهو ما تجلى في ردها على رسول الخليفة "أما أنا فغير زائغة عن طاعة وإن كان أمير المؤمنين قد جعل المشيئة إليّ لم أرم من بلدي هذا وإن كان حكم الأمر فالطاعة له أولى بي"، وهو ما يتعزز بعد فيما

أظهرته من بلاغة القول وفصل الخطاب في محاورتها للخليفة متحلية بالفطنة والكياسة، التي نجحت من خلالها في اجتياز اللقاء دون خسارة تذكر، فما تنازلت عن مبدأ، ولا تذللت للحاكم، ولا داهنت وتملقت.

رابعا: حال المرأة ومقامها: من حيث كبر سنها، الذي يترجمه خطاب معاوية لها: "كيف حالك يا خالة". والذي كان عنصرا حاكما فيما أسلفنا ذكره من حكمة المرأة ونجاحها في اجتياز اللقاء وما دار فيه من حوار مرفوعة الرأس، مستمسكة بمبادئها، مدافعة عن موقفها في حكمة جنبتها –إلى جوار مقامها وكبر سنها– بطش الخليفة وغضبه.

خامسا: النتيجة: نجاح المرأة المستدعاة من قبل الخليفة في اجتياز المقابلة دونما خسارة، بل حققت مكاسب معنوية ومادية: أما المعنوية: فإصرارها على موقفها وإعلانها له صراحة دونما خوف أو مواربة، وما أفضى إليه ذلك من إجلال محاورها لها، واحترامه لشأنها ولجرأتها؛ حيث يقول: "والله لوفاءكم له بعد موته أحب إليّ من حبكم له في حياته اذكري حاجتك"[١]. وأما المادية: فتلك العطية التي سمح لها بها طالبا منها أن تسأل، فاستطاعت ببلاغتها وحسن بيانها أن تزيد ربحها المعنوي ربحا فوق ربح بتعففها عن الطلب، فنالت العطاء المادي دون أن تريق قطرة من ماء وجهها؛ حيث "قالت: يا أمير المؤمنين إني قد آليت على نفسي أن لا أسأل أميرا أعنت عليه شيئا أبدا، ومثلك أعطى عن غير مسألة وجاد عن غير طلب. قال: صدقت، فأقطعها ضيعها أغلتها في أول سنة عشرة آلاف درهم، وأحسن صفدها وردها والذين معها مكرمين"[٢].

١ – السابق نفسه، ص ٣٩.

٢ – السابق نفسه، ص ٣٩.

٤- المحاورة الرابعة: محاورة بكارة الهلالية*:

يعنونها ابن طيفور في كتابه بقوله: "كلام بكارة الهلالية". ويذكر فيها روايتين؛ ففي الرواية الأولى: "حدثني عبدالله بن عمرو قراءة من كتابه عليّ قال: حدثنا إبراهيم بن عبدالله بن محمد ... عمن سمعه من حذافة الجحمي قال: دخلت بكارة الهلالية على معاوية بن أبي سفيان بعد أن كبرت سنها ودق عظمها ومعها خادمان لها وهي متكئة عليهما وبيدها عكاز فسلمت على معاوية بالخلافة فأحسن عليها الرد وأذن لها في الجلوس وكان عنده مروان ابن الحكم وعمرو بن العاص فابتدأ مروان فقال أما تعرف هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: ومن هي؟ قال: هي التي كانت تعين علينا يوم صفين، وهي القائلة:

يا زيد دونك فاستشر من دارنا ... سيفا حساما في التراب دفينا

...

فقال عمرو بن العاص: وهي القائلة يا أمير المؤمنين:

أترى ابن هند للخلافة مالكا هيهات ذاك وما أراد بعيد

...

فقال سعيد: يا أمير المؤمنين وهي القائلة:

قد كنت آمل أن أموت ولا أرى ... فوق المنابر من أمية خاطبا

...

ثم سكت القوم فقالت بكارة نبحتني كلابك يا أمير المؤمنين واعتورتني فقصر محجني وكثر عجبي وعشي بصري وأنا والله قائلة ما قالوا لا أدفع ذلك

* ذكرها سبط ابن الجوزي كذلك في الوافدات على معاوية، وذكر طرفا من محاورتها له. ينظر: سبط ابن الجوزية، مرآة الزمان، ج٨، ص٩٠، ٩١.

بتكذيب فامض لشأنك فلا خير في العيش بعد أمير المؤمنين، فقال معاوية: إنه لا يضعك شيء فاذكري حاجتك تقضى فقضى حوائجها وردها إلى بلدها..."[١].

وفي الرواية الثانية: "وحدثني عيسى بن مروان قال: حدثني محمد بن عبدالله الخزاعي عن الشعبي قال: استأذنت بكارة الهلالية على معاوية فأذن لها فدخلت وكانت امرأة قد أسنت وعشى بصرها، وضعفت قوتها؛ فهي ترعش بين خادمين لها، فسلمت ثم جلست/ فقال معاوية: كيف أنت يا خالة؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين. قال: غيرك الدهر. قالت: كذلك هو ذو غير من عاش كبر ومن مات قبر، ثم ذكر الحديث على ما رواه سعد بن حذافة في حديث عبدالله بن عمرو، ومن قول عمرو وسعيد ومروان ورواية في الحديث قالت: إن عشي بصري وقصرت حجتي فأنا قائلة ما قالوا وما خفي عليك أكثر. فضحك معاوية وقال ليس بمانعي من برك يا خالة غير عدم مجيئك. قالت: أما الآن فلا"[٢].

وفي هذه المحاورة من المعطيات:

أولا: المكان: قصر الخلافة على ما بينا من رمزيته، قصدته المرأة لحاجة لها.

ثانيا: ملابسات اللقاء: تم اللقاء بناء على رغبة المرأة، التي قصدت قصر الخلافة راغبة في قضاء حاجة لها لم يسمها الخبر. وقد واجهت في سبيل عرض حاجتها عقبة تمثلت في تدخل جلساء الخليفة بالتحريض عليها، مذكرين إياه بصنيعها في مناصرة غريمه السابق علي بن أبي طالب. وانتهت بتجاهل الخليفة تحريض المحرضين، وتلبيته حاجتها.

١ – ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ٣٩، ٤٠.

٢ – السابق نفسه، ص ٤٠.

ثالثا: حال المرأة ومقامها: حيث كبر سنها الذي بلغ غايته؛ كما توحي عبارات الراوي الوصفية "بعد أن كبرت سنها ودق عظمها ومعها خادمان لها وهي متكئة عليهما وبيدها عكاز" في الرواية الأولى للخبر، و"وكانت امرأة قد أسنت وعشى بصرها، وضعفت قوتها؛ فهي ترعش بين خادمين لها" في الرواية الثانية. وانعكست في موقف الخليفة المتمثل في حسن رده عليها والإذن لها بالجلوس في الرواية الأولى "فأحسن عليها الرد وأذن لها في الجلوس"، وتوقيرها والتلطف بها في سؤاله عن حالها بقوله "كيف أنت يا خالة؟" في الرواية الثانية. وهي حال سيكون لها كبير الأثر في إيجاز المحاورة معها، وتوجيه مسار الحوار توجيها تصالحيا واضحا، باستثناء تلك النبرة الحادة التي تحدث بها الجلساء عن المرأة.

رابعا: النتيجة: حصول المرأة على حاجتها التي لأجلها أقدمت على زيارة الخليفة في قصره؛ حيث انتهى الحوار بينها وبين الخليفة بهذا المشهد: "فقال معاوية: إنه لا يضعك شيء فاذكري حاجتك تقضى فقضى حوائجها وردها إلى بلدها" في الرواية الأولى، وبقوله: "فضحك معاوية وقال ليس بمانعي من برك يا خالة غير عدم مجيئك. قالت: أما الآن فلا". على ما سبق ذلك من إساءة في حق المرأة من قبل جلساء الخليفة كما طالعنا، وهو ما من شأنه أن يقلل من قيمة انتصار المرأة، أو ربما يقود إلى حالة من التعادلية بين موقف المتحاورين: الأول (الخليفة) سمح لجلسائه بالتطاول عليها، ثم قضى حاجتها، والثاني (المرأة) بادلت الإساءة بإساءة "نبحتني كلابك يا أمير المؤمنين"، وأقرت بما اتهموه بها من معاداة محاورها "وأنا والله قائلة ما قالوا لا أدفع ذلك بتكذيب"، ثم أذعنت لأمر الخليفة مستسلمة لحكمه فيها "فامض لشأنك فلا خير في العيش بعد أمير

المؤمنين"، ثم فازت بالعطاء وقضاء الحاجة "فقضى حوائجها وردها إلى بلدها". وفي المقابل فاز الخليفة معاوية بإثبات كرمه وحلمه وتواضعه وحسن معاملته.

٥- المحاورة الخامسة: محاورة أم الخير بنت الحريش البارقية*:

يعنونها ابن طيفور في كتابه بقوله: "كلام أم الخير بنت الحريش البارقية". ومستهلها: "حدثني عبدالله بن سعد قال: ... عن الشعبي قال: كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن أوفد عليّ أم الخير بنت الحريش ابن سراقة البارقية رحلة محمودة الصحبة غير مذمومة العاقبة، واعلم أني مجازيك بقولها فيك بالخير خيرا وبالشر شرا. فلما ورد عليه الكتاب ركب إليها فأقرأها إياه؛ فقالت أم الخير: أما أنا فغير زائغة عن طاعة ولا معتلة بكذب ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج في صدري تجري مجرى النفس يغلي بها غلي المرجل بحب البلسن، يوقد بجزل السمر، فلما حملها وأراد مفارقتها قال: يا أم الخير إن معاوية قد ضمن لي عليه أن يقبل بقولك فيّ بالخير خيرا وبالشر شرا، فانظري كيف تكونين؟ قالت: يا هذا، لا يطمعنك والله برك بي في تزويقي الباطل، ولا يوئسك معرفتك إياي أن أقول فيك غير الحق، فسارت خير مسير، فلما قدمت على معاوية أنزلها مع الحرم (٣) ثلاثا ثم أذن لها في اليوم الرابع وجمع لها الناس؛ فدخلت عليه فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: وعليك السلام، وبالرغم والله منك دعوتني

* هي أم الخير بنت الحريش بن سراقة البارقية تابعية لم تر النبي (ﷺ) ورأت أصحابه، وهي من أهل الكوفة، معروفة بالذكاء والفصاحة والبلاغة والولاء لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وحضرت معه حرب صفين. ينظر: السيد محسن الأمين الحسيني العاملي، أعيان الشيعة، مطبعة ابن زيدون بدمشق، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م، ج١٢، ص٤٧٢- ٤٧٨.

بهذا الاسم. قالت: مه يا هذا فإن بديهة السلطان مدحضة لما يحب علمه. قال: صدقت يا خالة..."[١].

ولا يخفى ما تنبئ به هذه المقطوعة من المحاورة من ثراء واضح ربما يميزها عما سواها، كما سيتجلى فيما يأتي من تحليل لاستراتيجيات الحجاج وطرائق الإقناع وبلاغة القول.

وفي هذه المحاورة من المعطيات:

أولا: المكان: قصر الخلافة، في حضور جمع من الناس جمعهم معاوية ليشهدوا ما يجري بينه وبينها من حوار.

ثانيا: ملابسات اللقاء: وهو لقاء يشبه كثيرا لقاء الزرقاء بنت عدي، حيث جاء اللقاء، وما دار فيه من محاورات، تلبية لرغبة الخليفة معاوية، الذي وجه واليه بالكوفة إلى إيفادها عليه في خير رحلة وأحسن صحبة. غير أن هذه الدعوة قد لاقت في صدر المرأة المدعوة "أم الخير" حاجة في نفسها، ورغبة في لقاء الخليفة، فلبت راغبة راضية. وأهم ما يميز أجواء اللقاء أمران: الأول: الحفاوة والاحترام المتبادل في تمهيد اللقاء (من قبل معاوية الذي حرص على ضيافة المرأة ٣ أيام في قصره)، وفي مستهل الحوار بينهما؛ حيث تبادل التحية والتقدير. والثاني: الحرص على وجود جمهور يشهد ما يدور في المحاورة بين الطرفين من حديث، وهو حضور يمثل عامل ضغط نفسي على الطرفين كليهما (الخليفة معاوية – المرأة أم الخير).

ثالثا: حال المرأة ومقامها: وهو –كما يبدو– مقام احترام وتقدير لكبر سنها، وعلو قدرها، وهو ما تجلى في مظاهر الحفاوة وحسن الاستقبال من

١ ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ٤١.

الخليفة، بل في حرصه ابتداء على استقدامها والحديث إليها على مشهد من القوم. ثم تجلى كذلك في تلقيبه لها بالخالة في قوله "صدقت يا خالة".

رابعا: نتيجة المحاورة: انتهت المحاورة باستجابة معاوية لاستحلاف المرأة له وسؤالها إياه أن يتجاوز الحديث فيما مضى، وأن يعفيها من الخوض –أكثر مما قد اضطرها إليه– في أحداث الماضي وما اكتنفها من خلاف سيضع المرأة في حرج يفضي بها إلى أحد أمرين: إما التسليم والإذعان له بإنكار موقفها وتغيير مبدأها، وهو أمر لا ترضى به ولا يقبله كبرياؤها، وإما المكابرة والمعاندة والاستمرار في استظهار قناعاتها المعادية لذات الخليفة، وهو أمر قد لا تحمد عقباه. فما كان جواب معاوية بعدما رأى صلابة المرأة وحسن جوابها، وجميل اعتذارها دونما تبذل أو تذلل، إلا أن أعفاها "وإني أسألك بحق الله يا معاوية فإن قريشا تتحدث بأنك أحلمها، فأنا أسألك بأن تسعني بفضل حلمك وأن تعفيني من هذه المسائل، وامض لما شئت من غيرها. قال: نعم وكرامة، قد أعفيتك. وردها مكرمة إلى بلدها"[١].

ومن خلال هذا الاستعراض الموجز لهذه المحاورات الخمسة نقف على عدة ملحوظات:

١- يمثل المشهد الحواري أسلوبا فنيا مهيمنا على النصوص الخمسة موضع الدراسة؛ وهو ما عزز من القيمة الحجاجية لهذه النصوص، لما يتمتع به الحوار من حضور مباشر للصوت في مواجهة الصوت الآخر، والحجة في مقارعة الحجة.

٢- اتفقت المحاورات الخمسة في أن الطرفين الرئيسين للحوار ثابتان؛ وهما: الخليفة معاوية، وإحدى نساء معسكر علي بن أبي طالب، مع ما يترتب

١ – السابق نفسه، ص ٤٤.

على ذلك من تشابه أسباب الخصومة والمحاججة، مع ما يتخلل المحاورة من إشارة حتمية إلى انتماء المرأة الذي يمثل حافزا مهما لتوتر الحوار واستثارة أسباب الجدل بين طرفيه (المرأة ومعاوية). وهو ما يجعلنا مع هذه المرويات الخمسة للحوارات ذات الطابع الحجاجي أمام منظومة حجاجية شبه متكررة، سواء في فكرتها العامة أم في معطياتها وخلفياتها السياسية والاجتماعية، بوصفها جميعها: حوارا بين رجل وامرأة، وجدلا بين حاكم ومحكوم، ومحاجةً بين ممثل بني أمية وأنصار غريمه علي بن أبي طالب. فهي محاورات على درجة عالية من الاشتراك أو الثبات الدلالي العام، مع اختلاف فقط في شكلها ومساراتها الفنية: اللغوية والأسلوبية والبلاغية.

٣- كما تتفق المحاورات الخمسة -نسبيا- في كونها قد جرت في محل إقامة الطرف الأول (الخليفة معاوية)، الذي كان في أربع من تلك المحاورات قصر خلافته بدمشق، في حين كان في واحدة من هذه المحاورات (محاورته مع أروى بنت الحارث) محل إقامته المؤقت بمكة في حين تأديته لموسم الحج، وهو مكان من هذه الزاوية مغاير للمكان في المحاورات الأربعة الأخرى؛ إذ يتحول الخليفة القادم من دمشق فيه إلى ضيف، والمرأة المحاورة إلى مضيفة، وهو أمر يستدعي أثر سلطة المكان في توجيه مجريات الحوار واستراتيجيات الخطاب الحجاجي بين المتحاورين؛ إذ "من تمام السلطة لإنجاز الخطاب الاعتماد على المكان المادي لتفعيلها ... حيث يستمد المرسل درجة سلطته من المؤسسة التي ينتمي إليها، وتتفاضل هذه المؤسسات في منحه سلطته"[١].

١ - عبدالهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا/ لبنان، طبعة ١ – ٢٠٠٤م، ص٢٢٢.

٤- في معظم هذه المحاورات هناك أطراف أخرى ثانوية حاضرة في بنية الخطاب الحواري والحجاجي، وبعض هذه الأطراف فاعل كجلسائه المحرضين له على النساء؛ ومنهم: عمرو بن العاص ومروان بن الحكم في محاورتي "أروى بنت الحارث"، و"بكارة الهلالية". وبعض هذه الأطراف مشارك بالمشاهدة والحضور، يفهم ذلك ضمنا من حديثه عن جمع الناس حتى يشهدوا محاورته مع "أم الخير البارقية". وهذه الأطراف جميعها – لا شك– كان لها دورها المباشر أو غير المباشر في المحاورات من حيث التأثير في مزاج المتحاورين، وتوجهاتهم، وفي توجيه الخطاب الحجاجي واستراتيجياته.

٥- تفاوتت الأسباب الداعية والملابسات المصاحبة للمحاورات الخمسة؛ بحيث إن ثلاثا من هذه المحاورات قد تمت بمبادرة وسعي من المرأة إلى بيت الخلافة؛ إما طلبا لعطية (محاورة أروى بنت الحارث)، أو عرضا لمظلمة (محاورة سودة بنت عمارة)، أو قضاء لحاجة (محاورة بكارة الهلالية). بينما جاءت اثنتان من هذه المحاورات بدعوة مباشرة من الخليفة، قاصدا بها إثراء مجلسه بحوارات بليغة يستعرض فيها شيئا من حلمه وحسن صنيعه مع خصومه[١].

إن هذه المجالس المتتابعة التي يحرص الخليفة معاوية على تنظيمها، مستقبلا فيها خصومه بصدر رحب، وما يدور فيها من سجالات وحوارات، وما يتخللها من مظاهر الحجاج والجدل، تعكس جانبا من جوانب الشخصية العربية،

١ – يقول المبرد في حلم معاوية: "يروى أن معاوية بن أبي سفيان كان أكثر الناس حِلماً، وأوسعهم عفواً، وأشدهم إغضاءً عمن نابذه، وأحسنهم احتمالاً لمن عازّه وعانده". المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد)، الفاضل في اللغة والأدب، باب الحلم والأناة، ضمن الموسوعة الشعرية.

"فالإنسان العربي يميل بطبعه إلى البلاغة، وتعجبه الفصاحة"[١]، ومن ثم فلا عجب أن يتقبل معاوية نتائج هذه الخصومات الجدلية في مجلسه، بل ينهي بعضها بإجزال العطاء لمحاوِرَته من النساء، مكتفيا في مقابل ذلك بما يستمتع به من بلاغة المنطق، وقوة الحجة، وفصاحة اللسان، ناهيك عما كان معروفا عن بني أمية وخلفائهم من فصاحة وبلاغة، ورثوها عن نسبهم القرشي.

٦- وبالعودة إلى مفهوم السلطة آنف الذكر نجد أن الموقف العام للطرف الأول/ الثابت (الخليفة معاوية) في المحاورات الخمسة قد اتسم بالقوة وامتلاك السلطة؛ التي "هي عدم توازن في القوى، حيث يقع أحد الطرفين فوق حد التوازن في اتجاه ما، في حين يقع الآخر تحت هذا الحد في نفس الاتجاه"[٢]، فهو الخليفة وولي الأمر صاحب الكلمة والسلطان، وهو أمر لا شك كان له آثاره على مجريات الحوار مع النساء. غير أنه من الملاحظ على جل هذه المحاورات ما أبدته النساء من رباطة جأش وجرأة في المحاورة بلا خوف أو وجل أو توجس، ودون اضطرار إلى كذب أو إنكار لشيء مما نسب إليهن من مناصرة علي. فضلا عن ذلك فإن هذا الموقف العام قد تعرض لشيء من الخلخلة في واحدة من تلك المحاورات، وهي محاورته مع "أروى بنت الحارث" التي يكشف ملفوظها الحواري الجريء عن تمتعها بقوة جانب؛ وهو الأمر الذي يحيلنا إلى طبية مفهوم السلطة آنف الذكر؛ إذ لا تقتصر هذه السلطة على ما تمتع به معاوية من سلطان سياسي بوصفه خليفة المسلمين، بل تنشأ كذلك من مصادر أخرى كثيرة "من ذلك: قدرة الإنسان اللغوية ذاتها، ووضعه الاجتماعي قياسا على الآخرين، والقيود التي

١ – أحمد علواني، الحجاج عند الطفيليين، دار التنوير للطباعة والنشر – القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٥، ص١٣.

٢ – عبدالهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية، ص٢٢٢.

يفرضها الموضوع، والفروق في العمر، وأشياء أخرى كثيرة"[١]. وهكذا يتجلى كيف استمدت "أروى بنت الحارث" سلطتها من عدة مصادر: أولها صلة قرابتها من النبي محمد صلى الله عليه، كونها ابنة عم النبي، وثانيها استقوائها بقومها بني هاشم، وبسلطة المكان "مكة" التي تمثل بيتها ومكان قوتها وسلطتها في مواجهة الخليفة القادم من دار الخلافة القاصية هناك في "دمشق". وثالثها وآخرها عامل السن، وما يستتبعه من توقير وإجلال لصاحبه، فالمرأة تنتمي إلى جيل الآباء والعمات، وهو ما تجلى في وصف معاوية لها بقوله: "يا عمة"، وفي وصفها هي له تأكيدا على هذه التراتبية الاجتماعية المرهونة بالسن؛ في قولها: "يا بن أخي".

٧- عنصر السن الآنف ذكره كان عاملا معززا لمقام ثلاث أخريات من المحاورات؛ هن: (الزرقاء بنت عدي – بكارة الهلالية – أم الخير البارقية) حيث تجلى أثر السن في توجيه استراتيجيات الخطاب وجهة يحكمها الاحترام والتوقير عبر تلقيب الخليفة لهن بـ (يا خالة)، فضلا عما أظهره في استقبالهن من حفاوة. ولم يحرم من هذا التعزيز سوى محاورة واحدة، هي "سودة بنت عمار" التي استطاعت –رغم ذلك– أن تثبت في مواجهة الخليفة رابطة الجأش، ثابتة الحجة، سوى في موقف واحد أظهرت فيه الضعف في مواجهة غضب معاوية؛ حين ثار عليها لما ألمحت له بتهديد خفي، فالتجأت وقتها إلى البكاء "فأطرقت تبكي ثم أنشأت تقول ..."[٢]. وهو البكاء الذي يعد سلاحا أنثويا بامتياز.

١ – السابق نفسه، ص٢٢٢.

٢ – ابن طيفور، بلاغات النساء، ص ٣٦.

٨- وبالانتقال إلى استعراض النتيجة التي انتهت إليها هذه النصوص الحوارية، يجد الباحث أن الحديث عن نتيجة المحاورة هنا هو حديث عن مدى تحقق غاية الخطاب الحجاجي ومنتهاه، وكما يرى بيرلمان فإن الإذعان هو غاية الحجاج، وهذا الإذعان يتجلى إما في إقدام على عمل أو إحجام عن عمل؛ وعلى ذلك فإن "إذعان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل أو العمل على زيادة الإذعان هو الغاية من كل حجاج؛ فأنجح حجة هي تلك التي تنجح في تقوية حدة الإذعان عند من يسمعها وبطريقة تدفعه إلى المبادرة سواء بالإقدام على العمل أو الإحجام عنه"[١]. وهكذا فإن الخطاب الحجاجي في تلكم النصوص ليس خطابا فرديا أحادي الاتجاه؛ كالخطابة مثلا، بل هو خطاب ثنائي متبادل بين طرفين (أ) و(ب)، وبناء على هذا فإن نتيجته يتوقع لها أن تؤدي إلى أحد اتجاهين: إما انتصار الطرف (أ)، أو انتصار الطرف (ب). غير أن ثمة نتيجة ثالثة أخرى ممكنة؛ وهي نتيجة تصالحية تقضي بتعادلية الموقف بين الطرفين (أ) و(ب). غير أن هذه الأخيرة قد يصعب تحديدها والوقوف عليها بشكل دقيق. وبتطبيق مبدأ الإذعان هذا (الغاية الإذعانية) على نصوصنا محل الدراسة، يمكن القول بشكل عام: إن الغالب في هذه المحاورات أن تنتهي لصالح المرأة بإجابة طلبها (أروى بنت الحارث)، أو رفع مظلمتها (سودة بنت عمار)، أو منح الأعطية بغير طلب (الزرقاء بنت عدي)، أو قضاء حاجتها (بكارة الهلالية)، أو بإعفائها وردها مكرمة إلى قومها (أم الخير البارقية). ثم يلزم أن نضيف أن الانتصار المذكور للنسوة المتحاورات لم يعنِ في معظم هذه المحاورات هزيمة المحاور "معاوية"؛

١ – عبدالهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية، ص٢٢٤. نقلا عن (Ruger w Shuy).

لسببين بسيطين: أما الأول، فهو أن إذعان الحليفة "معاوية" حينما أجاب طلب الطالبة، ورفع مظلمة الشاكية، وقضى حاجة القاصدة، ومنح الأعطية بغير طلب، وأعفى محاورته من الحرج وأكرمها، كل ذلك كان –غالبا– إذعانا عن طيب خاطر، ومن موقع رفيع، موقع الخلافة الذي إن شاء بمقتضاه منع وعاقب وقسى وزجر، لكنه آثر جميل الفعل في مواجهة حسن بلاغة النسوة أو رفعة مقامهن. وأما الثاني: فهو حرصه على استثمار تلك المواقف في تأكيد صورته الإيجابية السمحة، التي كانت –إن شئنا الإنصاف– ثابتة في حقه بما أثر عنه في كتب الأدب، وبما اعترف بها بعض خصومه، كما في ملفوظ "أم الخير": "فإن قريشا تتحدث بأنك أحلمها".

المبحث الثاني: الآليات اللغوية والأسلوبية للحجاج*:

تمثل اللغة الوعاء الذي نصب فيه أفكارنا؛ فتتشكل وفق ما تمليه عليها مخططاتنا العقلية، واللغة تملك كمًا ثريًّا من الأدوات والآليات المتنوعة التي تؤهلها لتأدية دور بارز ومهم في صياغة أفكارنا على النحو المناسب لتحقيق أكبر قدر من فعاليات التواصل مع الآخر/ المتلقي لخطابنا في سياقات اتصالية تختلف من موقف لآخر، وتزداد أهمية هذه الأدوات اللغوية في الخطاب الحجاجي الطابع، لكونه يمثل استخدامًا خاصًّا للغة، فيتميز بتوظيف جملة خصائص وآليات لغوية وأسلوبية يتوسل بها في التعبير عن مضامينه في إطار هدفه الأساسي، وهو الإقناع، والانتصار للموقف في مقابل المواقف الأخرى المتفاعلة معه، المجادلة له.

وهكذا فإن اللغة –بمفهوم التداولية– تنهض بوظيفة مهمة كونها استراتيجية حجاجية تهدف إلى إقناع المتلقي؛ أو بمعنى آخر فإن "كثيرا من أفعال القول لها وظيفة حجاجية عندما تهدف إلى توجيه المتلقي نحو نتيجة معينة أو صرفه عنها"[1]. وفي هذا المعنى يقول الدكتور محمد العبد: "إن تحليل لغة النص الحجاجي من منظور الاختيار اللفظي، والتكثيف اللغوي، وخصوصية البنية المجازية وكيفيات توزع الجمل... وطبيعة الإحالة الضميرية... فضلاً عن بحث العلاقة بين اللغة والتقنيات الحجاجية الموقفية، كالاستدراج والمناورة... ومحاورة

* تجدر الإشارة إلى أن أساليب الإنشاء التي أدرجها الباحث هنا ضمن الآليات اللغوية إنما تنتمي–كذلك– بصورة أو بأخرى للآليات البلاغية للحجاج، وإنما سوغ هذا الصنيع كون مثل هذه الظواهر هي ظواهر أسلوبية ولغوية الطابع في الأساس. وفي المقابل اكتفينا في الآليات البلاغية بمعالجة الظواهر البلاغية الخالصة كصور البديع، وأساليب البيان. مع الاعتراف بما بين المجالين من اشتراك وتداخل.

١ – حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص١٠٥.

المخاطَب المفتَرَض، والتظاهر بالتلقائية ونحوها لَمِن مجالات البحث اللغوي الاتصالي المهمة التي تزودنا بمعطيات مفيدة عن النص الحجاجي العربي"[١].

من هذا المنطلق، وفي ضوء فحص نماذج الخطاب الحجاجي المختارة من كتاب "بلاغات النساء"، يلحظ الباحث أنها تتميز بنوعية خاصة من تقنيات الاشتغال اللغوي، تفرض نفسها بحضور لافت ومكثف؛ علامةً دالة على طبيعة الخطاب الحجاجي، ومتناسبة مع أهدافه الاستراتيجية العامة القائمة –في مجملها– على تفاعلية الأخذ والرد بين طرفي الخطاب الحجاجي، وسنحاول من خلال النصوص الخمس السابق عرضها، وما تقدم من تحليلات لها، أن نقف عند أبرز هذه الوسائل اللغوية والخصائص الأسلوبية الموظفة لخدمة الأهداف الاستراتيجية للخطاب الحجاجي.

(١- الاستفهام:

يندرج الاستفهام، وفق مفهوم التداولية، تحت ما يسمى بـ "التوجيهات والإرشادات"؛ حيث "يحاول فيها المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، ولا تقبل الصدق والكذب"[٢].

ويمثل الاستفهام الأسلوب الإنشائي الأكثر ورودًا في هذه النصوص الحوارية محل الدراسة فهو من أبرز التقنيات اللغوية الموظفة من قبل المتحاورين في تلك المحاورات، بل هو أصل الخطاب الحجاجي والمحاورة عند سقراط؛ حيث الجدل عنده "مناقشة تقوم على حوار وسؤال وجواب"[٣]، والجدلي حسب قول

١ – محمد العبد، النص الحجاجي العربي، ص ٦١.

٢ – غالم عبدالصمد، استراتيجيات الخطاب الإقناعي في بخلاء الجاحظ، رسالة ماجستير مقدمة لقسم اللغة العربية بكلية الآداب واللغات والفنون – جامعة جيلالي ليابس – الجزائر، ٢٠١٦ – ٢٠١٧، إشراف: بوجمعة عمارة، ص١٦٠.

٣ – مجدي وهبة، وكامل المهندس، معجم المصطلحات، مادة: "الجدل".

أفلاطون "هو الذي يحسن السؤال والجواب"[1]، ولذلك يُلاحظ أن الاستفهام يُستخدم في المحاورات الحجاجية الخمسة التي تم تحليلها بلا استثناء؛ فقد تكرر استخدامه ما بين ثلاثة مواضع إلى أربعة عشر موضعا في كل نص، بحيث يصير مجموع المواضع التي وُظف فيها الاستفهام في النصوص الخمس ستة وأربعين موضعا؛ وهو ما يوضحه الجدول الآتي:

- **جدول أساليب الاستفهام الموظفة في النصوص:**

مسلسل	الجملة الاستفهامية	المحاورة	صاحب الجملة	الأداة	الغرض
١.	كيف أنت يا بن أخي؟	١	أروى بنت الحارث	كيف	التلطف مع الخصم
٢.	ومن أنت؟	١	أروى بنت الحارث	من	تحقير الخصم
٣.	أتكلمني؟	١	أروى بنت الحارث	الهمزة	التجاهل والسخرية من الخصم
٤.	أتتكلم؟	١	أروى بنت الحارث	الهمزة	التجاهل والسخرية من الخصم
٥.	ما تصنعين يا عمة بألفي دينار؟	١	معاوية بن أبي سفيان	ما	استدراج الخصم
٦.	فما تصنعين بألفي دينار؟	١	معاوية بن أبي سفيان	ما	استدراج الخصم
٧.	فما تصنعين بألفي دينار؟	١	معاوية بن أبي سفيان	ما	استدراج الخصم
٨.	ألست القائلة يوم صفين؟	٢	معاوية بن أبي سفيان	الهمزة	استدراج الخصم، مع التقريع
٩.	فما حملك على ذلك؟	٢	معاوية بن أبي	ما	الاستخبار

١ – جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ط ١– ١٩٧٣م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، جـ١، مادة: "الجدل".

مسلسل	الجملة الاستفهامية	المحاورة	صاحب الجملة	الأداة	الغرض
			سفيان		
.١٠	فما حاجتك؟	٢	معاوية بن أبي سفيان	ما	الاستخبار
.١١	أتهددينى بقومك؟	٢	معاوية بن أبي سفيان	الهمزة	الاستنكار وإظهار الغضب
.١٢	ومن ذلك؟	٢	معاوية بن أبي سفيان	من	الاستخبار
.١٣	وما صنع بك حتى صار عندك كذلك؟	٢	معاوية بن أبي سفيان	ما	الاستخبار
.١٤	ألك حاجة؟	٢	علي بن أبي طالب	الهمزة	الاستخبار
.١٥	أليّ خاص أم لقومي عام؟	٢	سودة بنت عمارة	الهمزة	الاستخبار
.١٦	ما أنت وقومك؟	٢	معاوية بن أبي سفيان	ما	أسلوب الحكيم مع النفي والاستنكار
.١٧	أيكم يحفظ كلام الزرقاء؟	٣	معاوية بن أبي سفيان	أيّ	الاستخبار والتحريض على الحكي
.١٨	فما تشيرون عليّ فيها؟	٣	معاوية بن أبي سفيان	ما	أخذ المشورة
.١٩	أيحسن بمثلي أن يتحدث الناس أني قتلت امرأة بعدما ملكت...	٣	معاوية بن أبي سفيان	الهمزة	الاستنكار، ودحض الرأي
.٢٠	كيف حالك يا خالة؟	٣	معاوية بن أبي سفيان	كيف	التلطف والتضامن
.٢١	وكيف رأيت مسيرك؟	٣	معاوية بن أبي سفيان	كيف	التلطف والتضامن
.٢٢	فهل تعلمين لم بعثت إليك؟	٣	معاوية بن أبي سفيان	هل	الاستئناس
.٢٣	أنّى لي بعلم ما لم أعلم؟	٣	الزرقاء بنت	أنَّى	أسلوب الحكيم مع

مسلسل	الجملة الاستفهامية	المحاورة	صاحب الجملة	الأداة	الغرض
			عدي		النفي والاستنكار
٢٤.	وهل يعلم ما في القلوب إلا الله؟	٣	الزرقاء بنت عدي	هل	أسلوب الحكيم مع النفي والاستنكار
٢٥.	ألست راكبة الجمل الأحمر يوم صفين؟	٣	معاوية بن أبي سفيان	الهمزة	استدراج الخصم، مع التقريع
٢٦.	فما حملك على ذلك؟	٣	معاوية بن أبي سفيان	ما	الاستخبار، مع التقريع
٢٧.	فهل تحفظين كلامك يوم صفين؟	٣	معاوية بن أبي سفيان	هل	استنطاق الخصم واستدراجه
٢٨.	فلا يعجلن أحد فيقول: كيف وأنَّى؟	٣	غير محدد (افتراضي)	كيف وأنى	الاستفهام كناية عن الاستبطاء واليأس
٢٩.	وقد سرك ذلك؟	٣	معاوية بن أبي سفيان	محذوفة	التعجب والاستنكار
٣٠.	فأنى بتصديق الفعل؟	٣	الزرقاء بنت عدي	أنّى	التمني
٣١.	أما تعرف هذه؟	٤	مروان بن الحكم	الهمزة	التحفيز والتنبيه
٣٢.	ومن هي؟	٤	معاوية بن أبي سفيان	من	الاستخبار
٣٣.	كيف أنت يا خالة؟	٤	معاوية بن أبي سفيان	كيف	التلطف والتضامن
٣٤.	وكيف رأيت مسيرك؟	٥	معاوية بن أبي سفيان	كيف	التلطف والتضامن
٣٥.	كيف كان كلامك يوم قتل عمار بن ياسر؟	٥	معاوية بن أبي سفيان	كيف	استنطاق الخصم واستدراجه
٣٦.	أيكم حفظ كلام أم الخير؟	٥	معاوية بن أبي سفيان	أي	الاستخبار والتحريض على الحكي
٣٧.	فإلى أين تريدون رحمكم الله؟	٥	أم الخير	إلى أين	التحفيز وبث

مسلسل	الجملة الاستفهامية	المحاورة	صاحب الجملة	الأداة	الغرض
			البارقية		الحماسة
.٣٨	أفِرارا عن أمير المؤمنين؟ أم فرارا من الزحف؟ أم رغبة عن الإسلام؟ أم ارتدادا عن الحق؟	٥	أم الخير البارقية	الهمزة	الترهيب من النكوص عن الجهاد
.٣٩	أما سمعتم الله عز وجل يقول...	٥	أم الخير البارقية	الهمزة	التقرير
.٤٠	فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله؟	٥	أم الخير البارقية	إلى أين	التحفيز وبث الحماسة
.٤١	ما تقولين في عثمان؟	٥	معاوية بن أبي سفيان	ما	استنطاق الخصم واستدراجه
.٤٢	وما عسيت أن أقول فيه؟	٥	أم الخير البارقية	ما	تهيؤ للجواب، مع تقرير وتأكيد له
.٤٣	فما تقولين في طلحة؟	٥	معاوية بن أبي سفيان	ما	استنطاق الخصم واستدراجه
.٤٤	ما عسى أن أقول في طلحة؟	٥	أم الخير البارقية	ما	تهيؤ للجواب، مع تقرير وتأكيد له
.٤٥	فما تقولين في الزبير؟	٥	معاوية بن أبي سفيان	ما	استنطاق الخصم واستدراجه
.٤٦	وما عسيت أن أقول في الزبير؟	٥	أم الخير البارقية	ما	تهيؤ للجواب، مع تقرير وتأكيد له

ومن خلال الجدول السابق، وباستقصاء أساليب الاستفهام الموظفة في المحاورات الخمسة، نلحظ ما يأتي:

١. تصدر الخليفة "معاوية" شخصيات المحاورات الخمسة في استخدام الاستفهام، حيث نسبت له أساليب الاستفهام في المحاورات الخمسة ٢٨ مرة بما نسبته ٦١% تقريبا. في حين نسبت للنسوة الخمسة مجتمعات (وهن الطرف الثاني الرئيس في هذه المحاورات) ١٥ مرة فقط بما نسبته ٣٣% تقريبا. أما أساليب الاستفهام الثلاثة المتبقية فقد أُسندت إلى شخصيات ثانوية

(شخصية علي بن أبي طالب في حكاية مستدعاة – شخصية مفترضة غير محددة في خطبة الزرقاء بنت عدي – شخصية مروان بن الحكم أحد جلساء معاوية). وهذا المؤشر له دلالته المهمة، فهو دال على السلطوية الاجتماعية التي يتمتع بها معاوية بوصفه الحاكم، وهو ما يخول له فعل المساءلة، سواء لضيفاته من النساء، أم لجلسائه الحاضرين. ولا شك أن هذه السلطوية، وذلك المسلك الخطابي (مواجهة الخصم/المحاور بالأسئلة) يمثلان مصدر ضغط نفسي على المتحاوِرات، يتعاظم معه ما أبدينه في تلك المحاورات من رباطة جأش، وبلاغة قول، وقوة حجة.

٢. الاستفهام، وإن كان الأصل فيه أن يكون للاستعلام –أي: طلب المعلومة أو التأكد منها– إلا أنه كثيرًا ما يخرج عن هذا الأصل إلى أغراض أخرى – كما يوضح الجدول– مما يحقق له تنوعًا دلاليًّا، وهو تنوع يثري الخطاب الحجاجي، بحيث يكثر خروج الاستفهام إلى أغراضه البلاغية الأخرى كالتلطف مع الخصم، أو استدراجه أو إفحامه وتقريعه أو معارضته واستنكار رأيه، أو تحفيزه واستثارته ... إلخ، يبدو أكثر فاعلية وقدرة على تغذية الخطاب الحجاجي، وإثراء تفاعلية الحوار بين أطرافه، من خلال إبرازه مشاعر كل شخصية ومواقفها وآرائها، وما يؤدي إليه ذلك من تأثير في المخاطب وتحقيق للغاية الإقناعية للخطاب.

٣. وهكذا تؤدي بنية الاستفهام دورًا مهما في تحفيز الخطاب الحجاجي وإثارة طرفي الحوار والمجادلة، فتستنطق الشخصيات بالقضايا والأفكار والمعتقدات من أجل مجادلتهم، ومناقشة آرائهم وأفكارهم، ولذلك فإن هذه الأساليب الاستفهامية كثيرًا ما تستوجب –من أجل إنجاح الخطاب الحواري الحجاجي– تعاون طرفي الخطاب أحدهما مع الآخر "وذلك بأن يجيب المشارك عن أسئلة المشارك الآخر، إجابات صادقة ومتعاونة، تمكنه من استخلاص

مسلمات يبني عليها استنتاجه"[١]، وهو الأمر الذي لُوحِظ في كثير من مواضع الاستفهام في نصوصنا الحوارية؛ نحو:

- ردود "أروى بنت الحارث" على تساؤلات "معاوية" حينما سألها عن أوجه إنفاق الستة آلاف دينار التي طلبتها منه: "ما تصنعين يا عمة بألفي دينار؟ قالت: أشتري بها عينا خرخارة ... فما تصنعين بألفي دينار؟ قالت: أزوج بها فتيان عبدالمطلب ... فما تصنعين بألفي دينار؟ قالت: أستعين بها على عسر المدينة ... ".
- ردود سودة بنت عمارة على تساؤلات معاوية؛ على ما في بعضها من استدراج وتقريع: "ألست القائلة يوم صفين ...؟ قالت: أي والله ما مثلي من رغب عن الحق... قال لها: فما حملك على ذلك؟ قالت: حب علي عليه السلام واتباع الحق.
- ردود الزرقاء بنت عدي على معاوية كذلك؛ حينما استخبرها عن حالها ومسيرها مظهرا التلطف والاستمالة؛ فبادلته تلطفا بتلطف: "كيف حالك يا خالة؟ وكيف رأيت مسيرك؟ قالت: خير مسير كأني كنت ربيبة بيت أو طفلا ممهدا". وكذلك حينما سألها عما إذا كانت تحفظ كلامها يوم صفين، فأجابته بالنفي: "فهل تحفظين كلامك يوم صفين؟ قالت: ما أحفظه". وغيرها من الأسئلة التي وجهها إليها معاوية فأجابته.
- وكذلك رد بكارة الهلالية على سؤال معاوية عن حالها: "كيف أنت يا خالة؟ قالت" بخير يا أمير المؤمنين".

---

١ – جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطبع والنشر –٢٠٠٠م، ص ١١٢. ويُنظر في مبدأ التعاون co–operation، ودوره في الخطاب المحادثي: دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص ٤٩٥.

- وردود "أم الخير البارقية" على سؤال معاوية عن مسيرها: "وكيف كان مسيرك؟ قالت: لم أزل في عافية وسلامة حتى أوفدت على ملك جزل وعطاء بذل ... ". وعن ثلة من الصحابة أراد أن يستنطقها برأيها في كل واحد منهم: "ما تقولين في عثمان بن عفان؟ قالت: وما عسيت أن أقول فيه؟ استخلفه الناس وهم له كارهون وقتلوه وهم راضون...".

ولا شك أن مثل هذه الردود ضرورية، بل لا غنى عنها لإتمام العملية الجدلية التي ينهض عليها كل نص، فحسبما ذهب سقراط "لا يمكنك أن تخطو خطوة واحدة إلى الأمام من دون أن تتيقن أن الخصم يتبعك"[1]، والردود المتعاونة من الخصم هي الضمان الوحيد للتأكد من اتباع الخصم لخصمه، فهي الخيط الواصل بين الطرفين، ولا يستطيع أحدهما أن يتقدم في عرض دعواه وتدعيم موقفه ووجهة نظره دون أن يتأكد من اتصال هذا الخيط بينه وبين خصمه.

٤. غير أن مسار الاستفهام لا يقوم دائما على هذا المسلك التصالحي، من خلال ردود متعاونة؛ ذلك أن ضروب الاستفهام تتشعب، وتتوزع إلى صنوف شتى، لكل منها وظيفته وسياقه الأليق به. فهناك مثلا لون من الأساليب الاستفهامية التي يطرحها السائل دونما انتظار لإجابة؛ وهذه عادة تكون لأغراض بلاغية: كالتقريع والتوبيخ، أو إظهار الغضب، أو التحفيز وبث الحماسة؛ وهي بذلك لا تقل أهمية في تعزيز الخطاب الحجاجي، فهي مسلك مهم من مسالك وأبواب التأثير في المتلقي أو المحاور؛ ومثال تلك الأساليب: استفهام "أروى بنت الحارث" عن حال معاوية بقولها: "كيف أنت يا بن أخي؟"، وهو الاستفهام الذي لم تنتظر له جوابا، بل أتبعته بتتابع من الجمل

١ – جميل صليبا، المعجم الفلسفي، جـ١، مادة: "جدل".

الخبرية التوكيدية التي تكيل بها الاتهامات لمعاوية وقومه، وهو مسلك يتعارض سياقيا مع الدلالة الظاهرة لجملة الاستفهام عن الحال، وهي دلالة التلطف والتودد إلى الخصم؛ غير أن تدقيق الأمر يحيلنا إلى دلالات أخرى تحقق تناغما وانسجاما، أو تزيل وهم التعارض بين هذا الاستفهام المتلطف وجمل الاتهام والتوبيخ؛ وأول ما يفسر به هذا الاستفهام أنه جاء ليحقق معادلا لخطاب معاوية المتلطف الذي استهل به حديثه معها "فلما رآها قال مرحبا بك يا عمة"، فكأن السؤال عن الحال مقرونا بصلة القرابة "ابن أخي" يعادل الترحيب المقرون بالتذكير بالقرابة "يا عمة"، ثم يأتي التفسير الثاني لورود هذه الصيغة الاستفهامية على هذه الصيغة المتلطفة بأن التأكيد على "ابن أخي" رغم دلالة التودد الظاهرة فيه يحمل لونا من الاستعلاء الاجتماعي بعلو رتبة الجيل (العمة / ابن الأخ)، وعلى الجملة فإن هذه الصياغة المتلطفة على ما فيها من استعلاء اجتماعي مبطن جاءت بمثابة مباغتة للمخاطب تهيئه لمواصلة الاستماع إلى خطاب محاورته، بحيث تسهم في إطالة صبره على حديثه وما تضمنه من اتهام.

ومثال تلك الأساليب الاستفهامية (التي لا ينتظر السائل لها جوابا) كذلك: جملة الأساليب الاستفهامية التوبيخية التي وجهتها "أروى بنت الحارث" لجلساء معاوية: (ومن أنت؟ – أتكلمني؟ – أتتكلم؟).

ومثالها كذلك سؤال معاوية لسودة بنت عمارة: "أتهددني بقومك؟ لقد هممت أن أحملك على قتب أشرس فأردك إليه ينفذ فيك حكمه"؛ فهو استفهام لا يرجو معاوية من محاورته جوابا له، بل هو استفهام بلاغي يهدف المتكلم من ورائه إلى إظهار الغضب من قول مخاطبته، وإطلاق التهديد لها، وهو ما أكده ملفوظه المتمم لسؤاله والمؤكد بـ"لقد".

ومثالها أخيرا: تلك الطائفة من الاستفهامات البلاغية التي ضمنتها أم الخير البارقية خطبتها؛ هادفة منها إلى تحميس الجند، وحثهم على الجهاد في

سبيل نصرة علي وحقه في الخلافة: "فإلى أين تريدون رحمكم الله؟ أفرارا عن أمير المؤمنين؟ أم فرارا من الزحف؟ أم رغبة عن الإسلام؟ أم ارتدادا عن الحق؟ أما سمعتم الله عز وجل يقول...؟".

٥. وهناك لون آخر من أساليب الاستفهام يقابله المتلقي بردود غير متعاونة، بقصد المشاغبة، أو بتلمس أسلوب الحكيم في إجابة السائل بغير ما يسأل عنه تشتيتا له، أو استنكارا لسؤاله؛ ومثال ذلك: سؤال سودة بنت عمارة لمعاوية حينما لبى طلبها بالكتابة لها لعامله أن يرد مظلمتها؛ "قال: اكتبوا لها برد مالها والعدل عليها. قالت: ألي خاص أم لقومي عام؟" حيث كان جوابه عليها متجاهلا لمطلوب سؤالها (وهو تحديد حال الكتابة لها خاصة أم لقومها عامة) "قال: وما أنت وقومك؟ قالت: هي والله إذن الفاحشة واللوم إن لم يكن عدلا شاملا". ومعلوم غاية هذا اللون من المشاغبة في إجابة السؤال؛ إذ هو هنا سعي من المخاطب لتشتيت المتكلم، وإبطال وجاهة سؤاله، تهربا من تبعات الإجابة عنه؛ لكن المرأة تجاوزت هذه الإجابة المشاغبة حين ترجمتها إلى إقرار معاوية بأن حكمه قاصر عليها دون قومها؛ الأمر الذي دفعها إلى مواصلة حجتها وسعيها الحثيث للحصول على غايتها من هذا الحجاج وهو الحصول على كتاب عام يشمل قومها؛ مقدمة لذلك البرهان الذي لا يُدفع من كون تخصيصها بالحكم مدعاة للشبهة حولها واتهامها بالفحش، وهو ما دفع معاوية للتسليم لها والإذعان لطلبها؛ قال: "اكتبوا لها ولقومها".

ومن هذا القبيل من الردود المبطلة لحجية الاستفهام المجهضة لغاية السائل رد الزرقاء بنت عدي على معاوية؛ حيث سألها: "فهل تعلمين لم بعثت إليك؟"؛ إذ قابلت سؤاله بسؤالين متتابعين يفيدان معنى واحدا هو إبطال وجاهة سؤال محاورها "معاوية"؛ حيث "قالت: سبحان الله أنّى لي بعلم ما لم أعلم؟ وهل يعلم ما في القلوب إلا الله؟". وهو لون مما يمكن إدراجه تحت باب "أسلوب الحكيم" الذي يعني عند البلاغيين: "تلقي المخاطب بغير ما يترقبه، إما بترك

سؤاله والإجابة عن سؤال آخر لم يسأله، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد، إشارة إلى أنه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال، أو يقصد هذا المعنى"[١].

٦. تنوعت الأدوات الموظفة في الاستفهام تنوعا يناسب سياقات الحوار المختلفة، وطبيعة المستفهم عنه؛ فاستخدم من أدوات الاستفهام ثماني أدوات؛ هي (كيف / مَنْ / الهمزة / ما / أيّ / هل / أنَّى / إلى أين). وهو تنوع يعكس تعدد مسارات وسياقات المحاورة ومقتضيات الاستفهام في الحوار الحجاجي، ما بين استعلام عن حال، أو عن شخص، أو عن سبب، أو عن إيجاب وقبول (السؤال المغلق بهل)، أو عن الوجهة، أو عن السبيل ... إلخ.

٧. بخلاف هذه الأدوات الثمانية السابق ذكرها خلت جملة استفهام واحدة من أداة الاستفهام التي حذفت اعتمادا على السياق والأداء التنغيمي للجملة؛ وهنا تجدر الإشارة إلى ما يتميز به الاستفهام التنغيمي (بغير أداة) من سمة شفاهية تقترب به من محاكاة التجربة الحكائية في أصلها الإنساني الحي والمباشر بما يكتنفه من تخاطب شفاهي، وهو الأمر الذى يحقق له وظيفة أكثر انفعالية وتأثيرية مما يناظرها من جمل استفهامية مثبتة الأداة؛ ذلك أن هذا النمط من الاستفهام محذوف الأداة –على حد قول سول– هو "نوع من التوكيد من جانب المتكلم، وهو يعبر عن الدهشة والمفاجأة والانفعال"[٢]، وهذا المعنى بالفعل هو ما يتحصل للقارئ بمطالعة تلك الجملة الاستفهامية في سياقها: "ثم قال معاوية: والله يا زرقاء لقد شركت عليا عليه السلام في

١ – السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط. مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص٣١٨.

٢ – محمد العبد، اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة: بحث في النظرية، ط١ سنة ١٩٩٠م، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ص١٤٦.

كل دم سفكه؛ فقالت: أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين ... قال لها: وقد سرك ذلك؟". فهو استفهام يظهر تعجب الخليفة معاوية واستنكاره من ردها الذي أبدت فيه سعادتها بما ألصقه بها من مشاركة عليّ بن أبي طالب في سفك الدماء.

٨. بقي أن أشير إلى حقيقة أخيرة من حقائق الاستفهام تتعلق بوظيفته التحفيزية للسرد الحكائي؛ ففي حالات كثيرة من الاستفهام –كما يرى "ياكبسون"– لا يكون السؤال بهدف الاستفسار والمعرفة، وإنما بهدف ربط الاتصال وتوثيق الأنس[١]. هذا النمط من الاستفهام يمثله هذا النموذج المتكرر للسؤال عن الحال: "كيف حالك يا ...؟" ففي هذا الاستفهام لا يقصد المتكلم مجرد الاستعلام عن حال المخاطَب، وإنما هو سؤال –حسب "ياكبسون"– لربط الاتصال وتوثيق الأنس.

(٢–الأمر والنهي:

يشترك أسلوبا (الأمر والنهي) في كونهما أسلوبين إنشائيين طلبيين[٢] يقومان على تحفيز علاقة جدلية بين متكلمَينِ تأخذ شكلا استعلائيا (أصل أسلوبي الأمر والنهي) أو بلاغيا متنوعا في دلالته حسب مقتضيات السياق (كما هو معلوم ومثبت في كتب البلاغة)؛ ذلك أن "الأساليب الإنشائية تتضمن أفعالا

١ – يُنظر: عبد الفتاح كيليطو، الحكاية والتأويل – دراسات في السرد العربي، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، دار توبقال للنشر، ص٤٩.

٢ – وإنما سوغ الجمع بينهما ما بينهما من تشابه في الدلالة والوظيفة؛ فإذا كانت الفائدة الحقيقية للأمر "هو طلب تنفيذ الفعل على وجه الإلزام والإجبار والاستعلاء"، فإن النهي "هو طلب الكف عن شيء على وجه الإلزام والاستعلاء". يُنظر: أيمن أمين عبدالغني، الكافي في البلاغة: البيان والبديع والمعاني، دار التوفيقية للتراث، إيداع: ٢٠١١م، ص٣٣٢، ص٣٣٦.

إنجازية تُقصد من المقام أو السياق، ولا شك أنها تستهدف جذب الانتباه والتأثير في المتلقي، وتمثل اللغة في صورتها الحركية (الديناميكية)"[١]. كما أن أسلوبي الأمر والنهي هما أسلوبان إنشائيان تعتمد عليها إحدى أثرى أنشطة الاتصال اللغوي، وهي المحادثة الحوارية، القائمة في آليتها على استخدام اللغة في موقف اتصالي مباشر في حضور طرفي الاتصال، وهو ما يفضي إلى تدشين خطاب حجاجي، كاشف عن علاقات شخصيات الحكاية بما تتسم به من تشابك وما يحكمها من تعارضات في الرؤى والمواقف والاتجاهات.

- **جدول أساليب الأمر والنهي الموظفة في النصوص:**

مسلسل	الجملة	المحاورة	صاحب الجملة	نوع الأسلوب (أمر / نهي)	الغرض
١.	أقصري من قولك،	١	عمرو بن العاص	أمر	الزجر
٢.	وغضي من طرفك.	١	عمرو بن العاص	أمر	الزجر
٣.	أربع على ظلعك،	١	أروى بنت الحارث	أمر	الذم والتحقير
٤.	وأعن بشأن نفسك.	١	أروى بنت الحارث	أمر	الذم والتحقير
٥.	فَأُتَمّ بهم	١	أروى بنت الحارث	أمر	التوبيخ والتقريع
٦.	فاسأل أمك عما ذكرت لك	١	أروى بنت الحارث	أمر	التعريض والتقريع

١ – رمزي السيد حجازي، آليات الخطاب الحجاجي في حوار النبي ﷺ مع الأنصار عقب غزوة حنين، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، عدد ٣٥ – الإصدار الأول ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م، ص٣٤.

مسلسل	الجملة	المحاورة	صاحب الجملة	نوع الأسلوب (أمر / نهي)	الغرض
.٧	أقصدي قصد حاجتك،	١	معاوية بن أبي سفيان	أمر	التوجيه والإرشاد
.٨	ودعي عنك أساطير النساء.	١	معاوية بن أبي سفيان	أمر	التوجيه والإرشاد
.٩	تأمر لي بألفي دينار وألفي دينار ...	١	أروى بنت الحارث	أمر	الالتماس (الفعل مضارع لفظا أمر معنى)
.١٠	أنفقي هذه	١	معاوية بن أبي سفيان	أمر	الإباحة مع التلطف
.١١	فاكتبي إلى ابن أخيك	١	معاوية بن أبي سفيان	أمر	الحث مع التلطف
.١٢	هيه يا بنت الأسك	٢	معاوية بن أبي سفيان	أمر	الاستنطاق
.١٣	فأوفوا الكيل والميزان	٢	علي بن أبي طالب	أمر	النصح والتحذير
.١٤	ولا تبخسوا الناس أشياءهم	٢	علي بن أبي طالب	نهي	النصح والتحذير
.١٥	ولا تعثوا في الأرض مفسدين	٢	علي بن أبي طالب	نهي	النصح والتحذير
.١٦	اكتبوا لها برد مالها	٢	معاوية بن أبي سفيان	أمر	الطلب على وجه الاستعلاء
.١٧	اكتبوا لها ولقومها	٢	معاوية بن أبي سفيان	أمر	الطلب على وجه الاستعلاء
.١٨	أن أوفد إليّ الزرقاء ابنة عدي	٣	معاوية بن أبي سفيان	أمر	الطلب على وجه الاستعلاء
.١٩	ومهدها وطاء لينا	٣	معاوية بن أبي سفيان	أمر	الطلب على وجه الاستعلاء
.٢٠	واسترها بستر حصيف	٣	معاوية بن أبي سفيان	أمر	الطلب على وجه الاستعلاء
.٢١	اذكري حاجتك	٣	معاوية بن أبي	أمر	التلطف

مسلسل	الجملة	المحاورة	صاحب الجملة	نوع الأسلوب (أمر / نهي)	الغرض
			سفيان		
٢٢.	فلا يعجلن أحد ...	٣	الزرقاء بنت عدي	أمر	النصح والتحذير
٢٣.	فامض لشأنك...	٤	بكارة الهلالية	أمر	الإقرار بالتهمة والتسليم بالعقوبة
٢٤.	لا يضعك شيء، فاذكري حاجتك	٤	معاوية بن أبي سفيان	أمر	التلطف
٢٥.	أن أوفد عليّ أم الخير	٥	معاوية بن أبي سفيان	أمر	الطلب على وجه الاستعلاء
٢٦.	واعلم أني مجازيك	٥	معاوية بن أبي سفيان	أمر	التحذير
٢٧.	فانظري كيف تكونين	٥	والي الكوفة	أمر	التماس
٢٨.	مه يا هذا؛ فإن بديهمة السلطان ...	٥	أم الخير البارقية	أمر	النهي والزجر
٢٩.	مه يا هذا، لك والله ...	٥	أم الخير البارقية	أمر	النهي والزجر
٣٠.	فاسأل عما بدا لك	٥	أم الخير البارقية	أمر	الإغراء
٣١.	قال: هاته...	٥	معاوية بن أبي سفيان	أمر	الطلب على وجه الاستعلاء
٣٢.	اتقوا ربكم	٥	أم الخير البارقية	أمر	النصح والتحذير
٣٣.	فاجمع إليه الكلمة على التقوى،	٥	أم الخير البارقية	أمر	الدعاء
٣٤.	وألِّف القلوب على الهدى،	٥	أم الخير البارقية	أمر	الدعاء
٣٥.	واردد الحق إلى أهله	٥	أم الخير البارقية	أمر	الدعاء
٣٦.	هلموا رحمكم الله	٥	أم الخير البارقية	أمر	الحث والاستثارة
٣٧.	قاتلوا أئمة الكفر	٥	أم الخير البارقية	أمر	الحث والاستثارة
٣٨.	صبرا معشر الأنصار والمهاجرين	٥	أم الخير البارقية	أمر	النصح والإرشاد
٣٩.	قاتلوا على بصيرة من ربكم	٥	أم الخير البارقية	أمر	النصح والإرشاد
٤٠.	أسألك بأن تسعني بفضل حلمك وأن تعفيني	٥	أم الخير البارقية	أمر	الالتماس
٤١.	وامض لما شئت من غيرها	٥	أم الخير البارقية	أمر	الالتماس

مسلسل	الجملة	المحاورة	صاحب الجملة	نوع الأسلوب (أمر / نهي)	الغرض
٤٢.	لا يطمعك والله برك بي في تزويقي الباطل،	٥	أم الخير البارقية	نهي	التنبيه والتوضيح
٤٣.	ولا يوئسنك معرفتك إياي أن أقول فيك غير الحق.	٥	أم الخير البارقية	نهي	التنبيه والتوضيح
٤٤.	لا تدعني كرجيع الصبيغ.	٥	أم الخير البارقية	نهي	الالتماس مع إظهار الضيق والضجر

ومن خلال الجدول السابق، وباستقصاء أساليب الأمر والنهي الموظفة في المحاورات الخمسة، نلحظ ما يأتي:

١. ورد أسلوبا الأمر والنهي في هذه المحاورات الخمسة في أربعة وأربعين موضعًا؛ منها خمسة مواضع فقط للنهي، والباقي (تسعة وثلاثون موضعا) اختصوا بالأمر. وهو ما يظهر حضورا أقوى لأسلوب الأمر على حساب أسلوب النهي.

٢. معلوم أن الأصل في أسلوبي الأمر والنهي أن يكونا لطلب إتيان الفعل أو الكف عنه على سبيل الإلزام والاستعلاء؛ إذ يندرج هذان الأسلوبان –وفق مفهوم التداولية– تحت الوسائل اللغوية في الاستراتيجية التوجيهية، أو ما يسمى بـ "التوجيهات والإرشادات"؛ حيث يحاول فيها المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما[١]. غير أن مراجعة الجدول السابق تظهر أن هذا الأصل قد شغل نسبة قليلة من أساليب الأمر والنهي الواردة في النص؛

١ – يُنظر: عبدالهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية، ص٣٤٠، وكذلك: غالم عبدالصمد، استراتيجيات الخطاب الإقناعي في بخلاء الجاحظ، ص١٦٠.

وتحديدا أفادت ستة أساليب أمرية فقط من مجموع واحد وأربعين أسلوبا (أمرا ونهيا) دلالة الطلب على وجه الاستعلاء؛ وهي:

- اثنين في محاورة (٢) في التوجيه لكاتبه بالكتابة لعامله بحق المرأة أولا، ثم حق المرأة وقومها ثانيا: (اكتبوا لها برد مالها – اكتبوا لها ولقومها). والطريف في هذين الموضعين أنهما وإنا جاءا على وجه الاستعلاء قد أفادا ضده، وهو الرضوخ والإذعان لطلب المرأة/ المحاورة "سودة بنت عمارة".
- ثلاثة في محاورة (٣) وذلك في التوجيه لعامله بالكوفة بإيفاد محاورته "الزرقاء بنت عدي"، مع أمره له بالترفق بها: (أن أوفد إليّ الزرقاء بنت عدي – ومهدها وطاء لينا – واسترها بستر حصيف).
- أسلوب واحد في محاورة (٥) شبيه بنظيره في محاورة (٣)؛ حيث التوجيه لعامله بالكوفة بإيفاد محاورته "أم الخير": (أن أوفد عليّ أم الخير).

٣. ويلاحظ أن هذه المواضع الست –الآنف ذكرها– صدرت جميعها عن الخليفة معاوية بن أبي سفيان؛ حيث تتناسب دلالتها الاستعلائية مع مكانته الاجتماعية حاكما وخليفة صاحب سلطة. كما يلاحظ أن معاوية لم يوجِّه أيًّا من هذه الجمل الأمرية إلى واحدة من محاوِراته الخمسة، بل وجهها لأطراف أخرى تمثلها شخصيات ثانوية، وهو ما يعني أن كل أساليب الأمر والنهي المتبادلة بين معاوية ومحاوِراته الخمسة تكتسي أغراضا بلاغية، وتثريها قيمٌ وجدانية وانفعالية مناسبة لسياقات المواقف الحوارية والحجاجية بينه وبينهن.

٤. وهكذا يمكننا القول إنه باستثناء هذه المواضع الست المعبرة عن الدلالة التوجيهية الاستعلائية لأسلوب الأمر، فإن الخروج عن هذا الأصل الدلالي والوظيفي للأسلوبين كان الغالب على أساليب الأمر والنهي في المحاورات الخمسة؛ إذ كثيرًا ما كانا يخرجان عن غرضهما الأصلي إلى أغراض أخرى –كما يوضح الجدول– مما يحقق لهذين الأسلوبين تنوعًا دلاليًّا ثريا بثراء

المواقف التي وُظِّفا فيها، والأشخاص الناطقة بهما، وهو تنوع يثري الخطاب الحجاجي، بحيث يخرج الأسلوبان إلى أغراض بلاغية أخرى كالزجر والذم والتحقير للخصم، والتلطف معه والنصح والإرشاد، والحث والاستثارة، والدعاء ... إلخ.

٥. هذا التنوع الدلالي والبلاغي في وظائف أساليب الأمر والنهي عزز دورهما في تعزيز الحجاج، وتهييج أسبابه؛ وهو ما يؤكد القول بأن "لصيغتي الأمر والنهي صلة وثيقة بالحجاج ... كما أن لهذين الأسلوبين قدرة حجاجية على حمل المتلقي على مشاركة المتكلم شعورا معينا"[١]. وذلك ما نراه جليا في المواضع الأكثر إثارة وتنازعا بين الخصوم؛ ومثال ذلك ما يلقاه القارئ في المحاورة الأولى من توظيف حماسي بلاغي لأسلوب الأمر من قبل جليس معاوية "عمرو بن العاص" في عبارات زاجرة للخصم "أروى بنت الحارث": "أقصري من قولك، وغضي من طرفك"، وهي الأساليب التي قابلتها بما هو أشد منها قسوة وزجرا وذما وتقريعا: "أَرْبِع على ظلعك، وأَعْنِ بشأن نفسك – فَأُتَمّ بهم"، ثم قولها لمروان بن الحكم كذلك: "فاسأل أمك عما ذكرت لك" تعريضا به وبنسبه. وهو أمر أسهم –رغم خرقه لقواعد الحجاج وآداب الخصومة والمجادلة– في تعزيز موقف المرأة؛ تعزيزا تجلى في وصول "معاوية"، المحاوِر الرئيس لها، إلى حالة من الضيق عبَّر عنها بتوجيهه اللوم لجليسيه "ويلكما أنتما عرضتماني لها"، ثم بخطابه المتحفظ لها توجيها وإرشادا في سعي تصالحي: "يا عمة، أقصدي قصد حاجتك ودعي عنك أساطير النساء"، الأمر الذي أفضى إلى تهيئة المناخ للمرأة/المحاورة لبسط طلباتها التي جاءت في صيغة خبرية لفظا إنشائية معنى: "تأمر لي بألفي

١ – غالم عبدالصمد، استراتيجيات الخطاب الإقناعي في بخلاء الجاحظ، ص١٦٥.

دينـار، وألفـي دينـار، وألفـي دينـار". مـع مـا يكشـف عنـه سـلوك المـرأة مـن تفصـيل وتقسـيم لطلبهـا عـن ذكـاء فـي إربـاك الخصـم، عبـر التلطـف فـي مواجهته بالمطلوب مجزءا دفعا لخصمها عن رفضه لكثرته، وتوجيها لذهنه للانشـغال بالغايـة مـن هـذه الألفين والألفين والألفين، وهـو مـا ترجمـه فـي سؤالاته المتكررة بعد: "مـا تصـنعين يـا عمـة بـألفي دينـار ... فمـا تصـنعين بألفي دينار ... فما تصنعين بألفي دينار".

٦. أسلوب الأمر الأخير "تأمر لـي..." يأخذنا إلـى لـون مـن التنويـع الأسـلوبي الواضـح فـي تشـكيل أسـاليب الأمـر بغيـر فعـل الأمـر الـذي تجلـى فـي هـذا المثال وفي ثلاثة مواضع أخرى؛ وهو أمر –لا شك– لـه غاياتـه البلاغيـة، وحمولاته الدلالية، فالأمر هاهنا جاء على هيئة الخبر تلطفا؛ إذ خرج الأمر من حقيقته القائمة على طلب إتيان الفعل على سبيل الاستعلاء، إلى بلاغة الالتماس في قضاء الحاجة، مراعاة لما أسس لـه بلاغيونـا القدماء بترديدهم لمقولة الجاحظ الشهيرة "لكل مقام مقال"[١]؛ فقد راعت المتحدثة هاهنا المقام، الذي هو مقام المخاطب (الخليفة معاوية)، وهو ما يكشف –كما أشرنا– عن الذكاء البلاغي لأروى بنت الحارث، التي رغم شططها في التطاول هجاء وذما وتحقيرا لجليسي معاوية (عمرو بن العاص / مروان بن الحكم)، ورغم مـا سـبق حـديثها هـذا مـن تحامـل وهجـوم حـاد علـى الخليفـة معاويـة نفسـه بتذكيره بما مضى، وبيان حاله مقارنة بحال حزبها (حزب علي) الذي يستمد

١ – يُنظر: الجاحظ (أبـو عثمـان عمـرو بـن بحـر)، البيـان والتبيـين، تحقيـق: عبدالسـلام محمد هـارون، طبـع دار الجيـل – بيـروت، ج١، ص ١٣٦، فيقـول:" وإنمـا مـدار الشـرف علـى الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال" ويُنظر كذلك: العسكري (أبو هلال الحسن بن عبدالله)، كتاب الصناعتين، تحقيق: علـى محمد البجـاوي . محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م، دار إحياء الكتب العربية، ص٢٧.

قوته وسلطته وحجيته من ارتباطه برسول الله ﷺ. أقول: رغم هذا المسلك الذي استهلت به المرأة حديثها؛ فإنها حينما حان وقت الطلب، قدمت بين يديه من التهذب ما يشفع لطلبها، ويدفع عن خصمها المكابرة برفضه، فجاءت بطلبها الآمر في صيغة الخبر المصوغ في الفعل المضارع "تأمر" لتتحول القوة الإنجازية للأمر بصيغته الخبرية هذه من قوة الإلزام والاستعلاء إلى قوة الالتماس والتلطف. وهنا يمكن القول إن هذه الصيغة التي تعد أقل في قوتها الإنجازية كانت أقوى في حجيتها وأثرها؛ ذلك ما يؤكده رد فعل الخليفة معاوية المتمثل في استجابته عن طيب خاطر لطلبها "هي لك نعم وكرامة". وهكذا يتضح كيف أن الأمر يستمد قدرته على تحفيز الخطاب الحواري الحجاجي من طبيعته اللغوية بوصفه يندرج –حسب تقسيم أوستين– تحت الأدائيات "performatives" من المنطوقات اللغوية في مقابل التبليغات "statements"، ولكونه يقوم من خلال فعله اللفظي "locutionary act" –أي: الفعل الصوتي، وفعل التلفظ بغرض الإبلاغ– بتأدية فعل إنجازي "locutionary act"، من خلال معنى الأمر بدرجاته الإنجازية المختلفة: أمر، نصح، التماس... إلخ، وهو ما ينتج عنه فعل ثالث، هو الفعل التأثيري "perlocutionary act"، والمتمثل في رد فعل المخاطب (الموجه له فعل الأمر)، ومدى تأثره بمضمون الأمر واستجابته له[1]. وهو تأثر يتفاوت بين الاقتناع التام المتجسد في رد فعل مباشر وفوري باستجابة فعلية أو أدائية كتلك التي صدرت عن معاوية في مقابلة طلب أروى بنت الحارث، ثم في المحاورات الخمسة كلها بعد ذلك، والرفض

١ – يُنظر: محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، مجلة فصول، ع٦٥ / خريف ٢٠٠٤– شتاء ٢٠٠٥، ص١٣٦، ١٣٧.

التام لمحتوى الأمر، والمتجسد في الإعراض عن الأمر بتجاهله وعدم تلبيته أو مجرد التعليق عليه، وهو المظهر الأقل حضورا في هذه المحاورات.

٧. أما المواضع الأخرى التي تشكل أسلوب الأمر فيها بغير فعل الأمر؛ فهي:

- "هيه يا بنت الأسك": قالها معاوية في استقباله لسودة بنت عمارة؛ وهي كلمة بليغة تفيد معنى الاستنطاق[١]، وكأنه يقول لها: انطقي، احكي، اعترفي، وخاصة أنه أعقبها بمواجهتها بالسؤال عما يعد في قناعته جريمة؛ هي جريمة معاداته والتحريض عليها؛ قال: "هيه يا بنت الأسك، ألست القائلة يوم صفين: ... قالت: أي والله ما مثلي من رغب عن الحق أو اعتذر بالكذب". وهنا تجدي الإشارة إلى ما تتمتع به اللفظة "هيه" من مناسبة صوتية مع غرض التنفيس عن الغضب، الناجم عن تذكر ماضي المرأة المحاورة؛ فالكلمة تتشكل من حرفين؛ أحدهما الهاء متكررة مرتين والثاني الياء، مع ما يتسم به الصوتان من خصائص صوتية؛ فالهاء صوت مهموس رخو توسطها صوت الياء هو حرف لين، وكل ذلك يسمح بجريان الهواء دون حواجز تنفيسا عن المشاعر[٢]. كما يلاحظ أن هذه الكلمة قد أدت معناها متضافرة مع بنية الاستفهام "ألست القائلة"، وتضافر الأساليب والجمع بينها هو ملمح أسلوبي واضح، وخاصة أسلوب النداء مقترنا بغيره من أساليب الإنشاء الطلبي كالأمر والاستفهام والنهي. لكن هاهنا تضافرت أساليب ثلاثة؛ هي: الأمر (هيه)، والنداء (يا بنت الأسك)، والاستفهام: (ألست بقائلة...؟)، وهو تعاضد أسلوبي يعزز قيمة المواجهة الحجاجية؛

---

١ – في لسان العرب: "هيهِ: بمعنى إيهِ فأبدل الهمزة هاء، وإيهِ اسم سمي به الفعل، ومعناه الأمر". ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي)، لسان العرب، ضمن الموسوعة الشعرية.

٢ – يُنظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر– القاهرة، د.ت، ص٢١ – ٢٩.

وكأن المحاور "معاوية" قد تسلح بما أمكنه التسلح به من طاقات اللغة وأساليبها.

- "هلموا رحمكم الله": قالتها أم الخير البارقية في خطبتها المستدعاة في الخبر، تلك الخطبة التي وجهتها إلى أنصار علي بن أبي طالب وقت قتالهم لمعاوية. والأسلوب هنا فيه تحفيز واضح؛ يتجلى في أمرين: الأول: صيغة الأمر بهذه الكلمة المخصوصة التي هي اسم فعل يفيد معنى الأمر مع زيادة التنبيه المستفاد في الهاء من الكلمة؛ ففي المحكم والمحيط الأعظم: "وهَلُمَّ: بمعنى أَقْبِل، وهذه الكلمة تركيبية من "ها" التي للتنبيه، ومن "لُمَّ" ... وإنما هي اسم للفعل"[1]. والأمر الثاني: تعزيز صيغة الأمر "هلموا" بالدعاء في قولها "رحمكم الله"، مع ما لهذا الدعاء من استمالة لقلوب المستمعين لخطبتها.
- "صبرا معشر الأنصار والمهاجرين": قالتها أم الخير البارقية -كذلك- في خطبتها؛ وهو أسلوب أمر محذوف الفعل، دل عليه المفعول المطلق "صبرا"، وهو أسلوب بلاغي الغرض منه النصح والإرشاد دعوة من المتكلم "أم الخير" لجمهور الجنود المقاتلين في صفوف علي بن أبي طالب في مواجهة معاوية بن أبي سفيان.
- "مه يا هذا..." التي ترددت مرتين على لسان أم الخير في مواجهة محاولات الخليفة معاوية استثارتها والاستظهار عليها؛ فجاءت بهذه الصيغة ذات الوظيفة الأمرية والدلالة الزاجرة التي جمعت بها الكلمة بين معنيي الأمر

١ - ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل)، المحكم والمحيط الأعظم، مادة: هلم. ضمن الموسوعة الشعرية.

والنهي معًا؛ إذ إن "مه" –كما يفيد المعجم العربي– اسم فعل معناه "اكفف"؛ وهي دالة على الزجر والنهي(١).

٨. وأخيرا، تتبدى جمالية أسلوبي الأمر والنهي بوصفهما أسلوبين إنجازيَّين محفزَين للخطاب، مثريين له على مستوى التركيب، وعلى مستوى الدلالة، وعلى مستوى العلاقات بين شخصيات الحكاية. وفي الجمل الأمرية الواردة في المحاورة الأولى، والآنف ذكرها، يتجلى دور أسلوب الأمر وما ينتج عن ذلك من فعل تأثيري بدرجات الاستجابة المختلفة من قبل المخاطب (المتلقي للأمر)؛ فهو تارة يُقابَل بغضب وتساؤل استنكاري مقرون بجملة من السباب والذم "ومن أنت؟ لا أم لك ... يا ابن اللخناء النابغة أتكلمني؟"*. وتارة يُقابَل بالصمت المؤذن بإفحام الخصم ومن ثم انتقال الحديث لطرف ثالث يتولى الرد مثلما حدث عقب أساليب الأمر الدالة على الذم والتحقير والتقريع من قبل أروى بنت الحارث في حق عمرو بن العاص "أَرْبِع على ظلعك وأَعْنِ بشأن نفسك... فأتم بهم"*. ثم في أمرها الدال على الذم والتعريض موجها لمروان بن الحكم "فاسأل أمك عما ذكرت لك"* ... إلخ.

---

١ – يُنظر: الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد)، الصحاح، والخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، مادة: مه. ضمن الموسوعة الشعرية.

* وذلك على لسان أروى بنت الحارث ردا على أسلوب الأمر الدال على الزجر، والصادر عن عمرو بن العاص "أقصري من قولك، وغضي من طرفك".

* حيث انتقل الحديث إلى مروان بن الحكم الذي حاول عبثا أن ينجح فيما أخفق فيه صديقه عمرو بن العاص من إلجام المرأة وإسكاتها.

* ردًّا على خطاب مروان بن الحكم لها.

(٣-النداء:

والنداء، كالاستفهام، يعد أسلوبا توجيهيا؛ ذلك "لأنه يحفز المرسَل إليه لردة فعل تجاه المرسِل"[١]. وبوصفه -كذلك- أحد أكثر الأساليب الإنشائية ورودًا في هذه النصوص الحوارية محل الدراسة، فالنداء قد تم توظيفه في المحاورات الحجاجية الخمسة التي تم تحليلها بلا استثناء، وقد تكرر استخدامه ما بين ثلاثة مواضع إلى عشرين موضعا في كل نص، بحيث يصير مجموع المواضع التي وُظف فيها النداء في النصوص الخمس سبعة وأربعين موضعا؛ وهو ما يوضحه الجدول الآتي:

- **جدول أساليب النداء الموظفة في النصوص:**

مسلسل	أسلوب النداء	المحاورة	المنادي	الأداة	الغرض
.٩	يا عمة	١	معاوية بن أبي سفيان	يا	التلطف
.١٠	يا ابن أخي	١	أروى بنت الحارث	يا	التلطف
.١١	أيتها العجوز الضالة	١	عمرو بن العاص	محذوفة	الاستهزاء والتحقير
.١٢	يا ابن اللخناء النابغة	١	أروى بنت الحارث	يا	الاستهزاء والتحقير
.١٣	أيتها العجوز الضالة	١	مروان بن الحكم	محذوفة	الاستهزاء والتحقير
.١٤	يا بني	١	أروى بنت الحارث	يا	التحقير
.١٥	يا عمة	١	معاوية بن أبي سفيان	يا	التلطف
.١٦	يا عمة	١	معاوية بن أبي سفيان	يا	التلطف

١ – عبدالهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية، ص٣٦٠.

مسلسل	أسلوب النداء	المحاورة	المنادي	الأداة	الغرض
.١٧	يا عمة	١	معاوية بن أبي سفيان	يا	التلطف
.١٨	يا بنت الأسك	٢	معاوية بن أبي سفيان	يا	التحدي
.١٩	يا أمير المؤمنين	٢	سودة بنت عمارة	يا	الاحترام والتوقير
.٢٠	اللهم إنك أنت الشاهد علي وعليهم	٢	علي بن أبي طالب	**محذوفة معوض عنها**	الدعاء والتبرؤ
.٢١	يا خالة	٣	معاوية بن أبي سفيان	يا	التلطف
.٢٢	يا أمير المؤمنين	٣	الزرقاء بنت عدي	يا	الاحترام والتوقير
.٢٣	أيها الناس إنكم في فتنة	٣	الزرقاء بنت عدي	محذوفة	الاستثارة والتحفيز
.٢٤	أيها الناس إن المصباح لا يضيء	٣	الزرقاء بنت عدي	محذوفة	الاستثارة والتحفيز
.٢٥	يا معشر المهاجرين	٣	الزرقاء بنت عدي	يا	الاستثارة والتحفيز
.٢٦	يا زرقاء	٣	معاوية بن أبي سفيان	يا	المواجهة والتحدي
.٢٧	يا أمير المؤمنين	٣	الزرقاء بنت عدي	يا	الاحترام والتوقير
.٢٨	يا أمير المؤمنين	٣	الزرقاء بنت عدي	يا	الاحترام والتوقير
.٢٩	يا أمير المؤمنين	٤	مروان بن الحكم	يا	الاحترام والتوقير
.٣٠	يا أمير المؤمنين	٤	عمرو بن العاص	يا	الاحترام والتوقير
.٣١	يا أمير المؤمنين	٤	سعيد	يا	الاحترام والتوقير
.٣٢	يا أمير المؤمنين	٤	بكارة الهلالية	يا	الاحترام والتوقير

مسلسل	أسلوب النداء	المحاورة	المنادي	الأداة	الغرض
.٣٣	يا خالة	٤	معاوية بن أبي سفيان	يا	التلطف
.٣٤	يا أمير المؤمنين	٤	بكارة الهلالية	يا	الاحترام والتوقير
.٣٥	يا خالة	٤	معاوية بن أبي سفيان	يا	التلطف
.٣٦	يا أم الخير	٥	والي الكوفة	يا	التنبيه
.٣٧	يا هذا	٥	أم الخير البارقية	يا	التنبيه
.٣٨	يا أمير المؤمنين	٥	أم الخير البارقية	يا	الاحترام والتوقير
.٣٩	مه يا هذا	٥	أم الخير البارقية	يا	التنبيه والتحذير
.٤٠	يا خالة	٥	معاوية بن أبي سفيان	يا	التلطف
.٤١	مه يا هذا	٥	أم الخير البارقية	يا	التنبيه والتحذير
.٤٢	يا أمير المؤمنين	٥	رجل من القوم	يا	الاحترام والتوقير
.٤٣	يا أمير المؤمنين	٥	رجل من القوم	يا	الاحترام والتوقير
.٤٤	يا أيها الناس اتقوا ربكم	٥	أم الخير البارقية	يا	الحث والتوجيه
.٤٥	اللهم قد عيل الصبر	٥	أم الخير البارقية	**محذوفة معوض عنها**	التضرع
.٤٦	وبيدك يا رب أزمة القلوب	٥	أم الخير البارقية	يا	دعاء واسترحام
.٤٧	صبرا معشر الأنصار	٥	أم الخير البارقية	محذوفة	التعزية والدعم
.٤٨	أيها الناس	٥	أم الخير البارقية	محذوفة	التنبيه
.٤٩	أيها الناس	٥	أم الخير البارقية	محذوفة	التنبيه

مسلسل	أسلوب النداء	المحاورة	المنادي	الأداة	الغرض
.٥٠	يا أم الخير	٥	معاوية بن أبي سفيان	يا	التنبيه والمواجهة
.٥١	يا ابن هند	٥	أم الخير البارقية	يا	التحدي
.٥٢	يا كثيرة الفضول	٥	معاوية بن أبي سفيان	يا	السخرية والدعابة
.٥٣	يا أم الخير، هذا والله أصلك الذي...	٥	معاوية بن أبي سفيان	يا	التنبيه والمواجهة
.٥٤	يا هذا لا تدعني كرجيع	٥	أم الخير البارقية	يا	التنبيه وإظهار الضيق
.٥٥	يا معاوية	٥	أم الخير البارقية	يا	التنبيه والالتماس

ومن خلال الجدول السابق، وباستقصاء أساليب النداء الموظفة في المحاورات الخمسة، يُلاحظ ما يأتي:

١. يعد أسلوب النداء أحد وسائل التخاطب التي لا غنى عنها لأي نص تواصلي قائم في بنائه على تبادلية الخطاب بين أكثر من شخصية؛ فالنداء وسيلة بدائية في التواصل الإنساني، بل قد يكون الأداة الأكثر بدائية للتواصل. والنداء في أبسط تعريفاته: "هو توجيه الدعوة إلى المخاطب وتنبيهه للإصغاء وسماع ما يريده المتكلم"[١].

٢. وإذا كانت أدوات النداء كثيرة، ولكل منها قيمته الأسلوبية والبلاغية، وهي (أ، آ، يا، أى، آى، وا، أيا، هيا)؛ فإنه من الملحوظ في نصوصنا الحوارية الخمس موضع الدراسة اعتمادها على الأداة "يا" أكثر من غيرها من أدوات النداء الأخرى، ولا عجب في ذلك فهي –كما يراها الباحثون– أعم هذه

١ – عباس حسن، النحو الوافي، ط١٣، دار المعارف، ١/٤.

الحروف؛ "إذ هي تدخل في كل نداء حتى في باب النُّدبة عند أمن اللبس... ثم إن "يا" تختص دون ما سواها بأنها هي وحدها التي يجوز حذفها مع المنادى عندما لا يكون هناك مانع من الحذف."[1]، وهذا بالفعل ما حدث في ثمانية مواضع تم فيها حذف أداة النداء؛ كان معظمها مع كلمات (أيها / أيتها / اللهم). وهو تنويع أسلوبي –لا شك– له أثره في دفع الملل، وتكثيف الأثر البلاغي للخطاب في نفس المتلقي.

٣. وإذا كانت الأداة "يا" تصنف ضمن الأدوات المستخدمة لنداء البعيد[2]، فإنها غالبًا ما تأتي في نصوصنا المختارة من كتاب "بلاغات النساء" للنداء في بنية الحوار بين شخصين حاضرين في مكان واحد يحكمهما القرب المكانيّ وليس البعد، وقد علل بعض الباحثين استخدام أداة نداء البعيد مع القريب بأن ذلك إما[3]: إشارة لانحطاط درجة المنادَى، أو إشارة إلى أن المنادَى عالي الهمة، عظيم الشأن، بينه وبين مناديه عوالم شاسعة من المستحيل أن يقترب منها، أو إشارة إلى غفلة هذا القريب وشرود ذهنه؛ مما يجعله بمنزلة البعيد المحتاج إلى التنبيه. غير أن هذا التوظيف للأداة "يا" في نصوص "بلاغات النساء" له –في تصور الباحث– تفسير آخر، وهو مناسبة هذه الأداة للدلالة على حالة المساجلة والمحاجة القائمة بين طرفي الحوار، فهي –بوصفها أداة لنداء البعيد– تؤطِّر للبعد بين الشخصيات، ولكنه ليس بعدًا مكانيًا، وإنما هو بعد اجتماعي ونفسي وأيديولوجي يفصل بين الأنا والآخر، محققًا جدلية التفاعل بينهما؛ فالنداء أسلوب إنشائي يؤسس لعلاقات إنسانية

١ – أحمد محمد فارس، النداء في اللغة والقرآن، ط١، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، دار الفكر اللبناني، ص٨٠.

٢ – يُنظر: السابق نفسه، ص١٥٧.

٣ – يُنظر: السابق نفسه، ص١٥٨.

جد متباينة بين شخصيات النص الأدبي والسردي منه خاصة، ولعل ذلك ما يدفع باستمرار إلى القول بأن "دراسة أفعال الكلام ينبغي لها أن تكون عملاً لغويًّا اجتماعيًّا؛ وذلك أن هناك دائمًا صلة وثيقة بين الفعل الكلامي ودور المتكلم الاجتماعي"[١].

٤. تشارك الخليفة معاوية بن أبي سفيان، والمرأة أم الخير البارقية صدارة شخصيات المحاورات جميعها في عدد المرات التي شغلا فيها مكان المنادِي بكسر الدال بتردد بلغ ثلاثة عشر موضعا لكل واحد منهما. أما الخليفة معاوية فكانت صدارته أمرا طبيعيا متوقعا بوصفه شخصية مشتركة في المحاورات الخمسة، مع تبدل الشخصيات وتناوبها عليه من النسوة الخمسة، ومن غيرهن من الشخصيات الثانوية. ويلاحظ أن ٤ من هذه المواضع كان نداء لأروى بنت الحارث، وكان ذلك النداء بصيغة (يا عمة) احتراما لها وتقديرا لسنها ومقامها قرابة منه وشرفا بنسبها للنبي محمد ﷺ. كما كان ٤ من هذه المواضع بصيغة (يا خالة)؛ وهي صيغة متأدبة كذلك في النداء، استخدمها مع ثلاثة من ضيفاته؛ هن: (الزرقاء بنت عدي / بكارة الهلالية / أم الخير البارقية). وهو ما يعني أن النسبة الأكبر من نداء معاوية لضيفاته كان نداء متلطفا مراعيا لمقام السن وقائما على الاستمالة لضيفاته من خلال هذا الخطاب الاجتماعي (يا عمة / يا خالة). بينما كان ٥ من مواضع نداء معاوية قائما على صياغات أخرى لدلالات أخرى؛ وهذه الصياغات هي: (يا بنت الأسك) نداء لسودة بنت عمارة بدلالة التحدي والمواجهة، ثم (يا زرقاء) بالاسم مجردا نداء للزرقاء بنت عدي لدلالة التحدي والمواجهة كذلك عقب استذكار خطبتها في التحريض عليه، ثم (يا أم الخير) بكنية المرأة

١ – محمد العبد، تعديل القوة الإنجازية، ص١٣٩.

هكذا مجردا من اللقب في موضعين اثنين بغرض التنبيه والمواجهة، وأخيرا (يا كثيرة الفضول) وهي الصيغة التي لا تخلو من طرافة أفضت بها إلى غرضها الدلالي المتمثل في السخرية والدعابة اختتاما لحديثه المطول مع "أم الخير البارقية" على ما اتسمت به هذه المحاورة من ثراء في الخطاب الحجاجي وبلاغة الأخذ والرد بين المرأة والخليفة معاوية.

٥. وأما أم الخير فترجع هذه الكثرة في شغلها مقام المنادِي إلى خطبتها التي تخللت المحاورة والتي ورد فيها فقط ست من نداءاتها إما نداء لأنصارها، أو نداء موجها إلى الله تضرعا وطلبا للنصر والمدد. لكن فضلا عن هذه النداءات الست فإن نداءاتها الباقية كان جلها موجها إلى معاوية، فباستثناء نداء واحد لوالي معاوية على الكوفة، كانت ستة نداءات موجهة للخليفة معاوية، وهو ما يظهر حالة المواجهة الجدلية المتوترة بين طرفي المحاورة؛ وخاصة حينما نقرأ صيغ هذه النداءات فنرى أن واحدة فقط منها كانت بصيغة التأدب التصالحية "يا أمير المؤمنين" التي تعكس حالة احترام وتوقير تغلفها نبرة تصالحية، في حين كانت النداءات الخمسة المتبقية في صيغ صدامية متوترة محملة بأغراض بلاغية؛ نحو (مه يا هذا) التي تكررت مرتين وأفادت معنى التنبيه والتحذير، ثم (يا هذا) التي تكررت مرة واحدة وأفادت معنى التحدي، وكذلك أفادت صيغة النداء بـ(يا ابن هند)، وأخيرا صيغة النداء بـ "يا معاوية" التي جمعت –حسبما يفيد السياق– بين معنى التنبيه والالتماس.

٦. سبقت الإشارة إلى أن تضافر الأساليب والجمع بينها هو ملمح أسلوبي واضح، وخاصة أسلوب النداء مقترنا بغيره من أساليب الإنشاء الطلبي كالأمر والاستفهام والنهي، وأن ذلك يمثل تعاضدا أسلوبيا يعزز قيمة المواجهة الحجاجية؛ وكأن المحاور "معاوية" قد تسلح بما أمكنه التسلح به من طاقات اللغة وأساليبها. وفي هذا السياق يقترن النداء في قرابة ٢٠

موضعا (من مواضع النداء من إجمالي ٤٧ موضعا) بأحد الأساليب الإنشائية الأخرى؛ فتارة يقترن بالاستفهام: (كيف أنت يا ابن أخي/ يا بني أتتكلم/ ما تصنعين يا عمة/ كيف حالك يا خالة وكيف رأيت المسير/ تعرف هذه يا أمير المؤمنين/ كيف أنت يا خالة) وتارة يقترن بالأمر: (أيتها العجوز الضالة أقصري من قولك وغضي من طرفك/ يا عمة أقصدي قصد حاجتك ودعي عنك .../ يا عمة أنفقي هذه/ فصبرا يا معشر المهاجرين / مه يا هذا/ يا أيها الناس اتقوا ربكم/ صبرا معشر الأنصار)، وتارة ثالثة يقترن النداء بالنهي: (يا هذا لا يطمعك والله... ولا يوئسنك.../ يا هذا لا تدعني كرجيع الصبيغ) أو يجمع بين أكثر من أسلوب من هذه الأساليب؛ مثلما اقترن النداء مع كل من الاستفهام والأمر في قول أروى بنت الحارث لعمرو بن العاص "يا ابن اللخناء النابغة أتكلمني؟ أربع على ظلعك"، وكذلك في قول معاوية لسودة بنت عمارة "هيه يا بنت الأسك ألست القائلة؟" على ما بين الباحث في موضع سابق. وبذلك يصير النداء وسيلة مناسبة لتصوير الموقف الحواري الحجاجي التفاعلي المسيطر على الخطاب الحجاجي عامة، وهذه النصوص خاصة.

(٤- التناص معززا حجاجيا:

لا شك أن النصوص الأدبية لا تنشأ بمفردها منعزلة عن غيرها من النصوص والخطابات، ولا عن سياقها الثقافي ورصيدها الإبداعي، بل إن النصوص تتشكل عبر عملية تفاعل معقدة مع كم كبير من النصوص السابقة عليها والمعاصرة لها، واللاحقة بها؛ وعلى ذلك فإن أي نص أدبي هو وليد ثقافته المعاصرة له والمحيطة به، ونتاج أصيل لتراثه الإبداعي القومي خاصة والإنساني عامة. إن هذا التداخل بين النصوص هو لون من التفاعل النصي، الذي يطلق

عليه هذا المصطلح الموجز "التناص" بوصفه مكونًا مهما من مكونات النص؛ فهو أحد المعايير السبعة للنصية بحسب دي بوجراند[١]. ويمكننا تعريف "التناص" بأنه "العلاقة أو العلاقات القائمة بين نص ما والنصوص التي يتضمنها أو يعيد كتابتها أو يستوعبها أو يبسطها أو بعامة يحولها، والتي وفقًا لها يصبح مفهومًا... أما في صورته العامة والجذرية المتداولة (بارت وكريستيفا) فإن المصطلح يشير إلى العلاقة بين أي نص بالمعنى العام للمادة الدلالية ومجموع المعارف أو شبكة الشفرات الممكنة واللانهائية التي تمكنه من أن تكون له دلالة"[٢].

إن هذه العملية التفاعلية المعقدة يتخللها غير قليل من تداخل الخطابات والفنون الأدبية؛ فالخطيب يستلهم من الشعر، ويسرد في ثنايا خطابه قصصا يعزز به مراده، والشاعر يستوحي معنى قرآنيا أو توجيها نبويا، أو يوظف مثلا أو حكمة بعد أن يصبغها صبغته الشعرية إيقاعا وشعورا وتصويرا ... إلخ. وكل هذه التداخلات لا تكون عبثا ولا ترفًا جماليا، بل تندرج في إطار توظيف بلاغي رشيد يحقق مقصد الخطاب ووظائفه.

وفي نصوصنا موضع الدراسة نلفي أنفسنا أمام جملة من التناصات الذكية التي أدت دورا تعزيزيا جليا في تدشين خطاب الذات في مواجهة الآخر، حجاجا وإقناعا واستظهارا للمقدرة البلاغية والفصاحة اللفظية في مواجهة الخصم. وأهم ما يمكن رصده في هذا الباب:

٤-١- التناص القرآني:

١ - يُنظر: دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص١٠٣، ١٠٤.

٢ - جيرالد برنس، المصطلح السردي، ترجمة: عابد خزندار، ط١ - ٢٠٠٣م، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، intertextuality.

وهو لا شك لون من التناص يأتي في المرتبة الأولى من حيث طاقته الحجاجية، وحمولته الدلالية والبلاغية المعززة لخطاب المتكلم في محاورة خصمه؛ فهو إذ يستلهم نصا قرآنيا، يتكئ على تلك المصداقية البالغة التي يتمتع بها النص القرآني عند أطراف الحوار؛ وهذا ما نلقاه في حديث "أروى بنت الحارث" التي نجحت في توظيف عدة استدعاءات نصية ذكية وبليغة لآيات قرآنية عززت بها دعواها؛ بعضها جاء بلفظه مستقلا متمايزا عن منطوق المرأة، وبعضها جاء مندمجًا ضمن النص (مضمنًا فيه)، داخلاً في نسيجه. ومن أبرز هذه الاستدعاءات النصية ما قدمته من عرض لمظلمتها ومظلمة أهل البيت جميعا؛ ببيان تحول حالها وحال أهل البيت وحال رأس أهل البيت "علي بن أبي طالب" من عهد رسول الله ﷺ، إلى عهد بني أمية؛ فاستلهمت –كما سلفت الإشارة آنفا– في بنية تشبيهية تمثيلية ذكية تلك النصوص نصين قرآنيين: أولهما في وصف شناعة فعل بني إسرائيل "يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم"[١]، والثاني في حال نبي الله هارون وقد استضعفه قومه "ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني"[٢]. وهي بهذين النصين تسعى لتعزيز دعواها بظلم بني أمية لها ولأهل البيت ولعلي بن أي طالب من قبل.

٤–٢– توظيف النص الشعري:

يبدو أن التناص بأبيات الشعر في إطار النثر العربي القديم كان سلوكا فنيا يتخذ شكل القاعدة الإبداعية التي لا يتخلف عنها الكاتب العربي المبدع في عصور الإبداع العربي القديمة (العصرين الأموي والعباسي تحديدا)؛ حيث كان الشعر مهيمنًا على صنوف الإبداع الأدبي، قارًّا في وجدان العربي، إذ كانت له

١ – ابن طيفور، بلاغات النساء، ص٣٣. وهو استلهام صريح لوصف بطش إسرائيل في مواضع شتى. يُنظر: البقرة: آية ٤٩، والأعراف: آية ١٤١، وإبراهيم: آية ٦.

٢ – السابق نفسه، ص٣٣. وهو استلهام نصي مطابق لما جاء في سورة الأعراف: آية ١٥٠.

الغلبة على الإبداع النثري –كما هو معلوم، وكانت عبارة: ابن عباس "الشعر ديوان العرب"[١] مازال لها رنينها في آذان العرب، وكانت هي المقولة المسيطرة على عقولهم.

وفي هذا الإطار كان توظيف النص الشعري في نصوص المحاورات التي بين أيدينا مسلكا ووسيلة من وسائل تعزيز الخطاب الحجاجي؛ إذ يكتسب النص الشعري في مثل تلك النصوص الحجاجية قيمة إحالية وتعيينية وحجاجية ربما تطغى على ما له من قيمة جمالية قارة أصالة في بنائه ونسيجيه[٢].

ونموذج التناص الشعري يتكرر في أكثر محاورة؛ فيلقانا في المحاورة الأولى لأروى بنت الحارث في استعراض هذه المساجلة الشعرية بين مقالة خصومها ممثلين في هند بنت عتبة أم معاوية بن أبي سفيان، ومقالتها ردا عليهم؛ حيث أوردت أربعة أبيات لهند بنت عتبة، وعقبت عليها بأبيات خمسة لها. تدحض بها دعواها وتفند مقالتها. ثم وظفتها في ختام المحاورة بمقطوعة شعرية لا تنفك عن الفكرة الرئيسة للمحاورة، والدعوى الأساسية لأروى بنت الحارث وهي إبراز مظلمتها ومظلمة أهل البيت تجاه بني أمية، فقدمت مقطوعة شعرية باكية ممهدة لها بفعل البكاء الصريح المحكي سردا:

"علا بكاؤها وقالت:

---

١ – ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط ٤ – ١٩٧٢، الجزء الأول، ص٣٠، ويُنظر الأقوال الكثير في فضل الشعر والدفاع عنه ص ١٩ وما بعدها.

٢ – وفي هذا المعنى يرى توفيق قريرة –على ما لنا من تحفظ على رأيه– أن النص الشعري يفقد بقطعه عن سياقه بعده الجمالي ويصير له دور إحالي أو تعييني مجرد عن أي قيمة أدبية أو جمالية. يُنظر: توفيق قريرة، التعامل بين بنية الخطاب وبنية النص في النص الأدبي، مج عالم الفكر، عدد٢، مجلد ٣٢، أكتوبر – ديسمبر ٢٠٠٣م، ص١٩٦.

ألا يا عين ويحك أسعدينا ... ألا وابكي أمير المؤمنينا ..." [١].

كما تم توظيف التناص الشعري توظيفا حجاجيا بليغا في ثلاثة مواضع من المحاورة الثانية لسودة بنت عمارة؛ الأولى على لسان معاوية تبكيتا للمرأة وتقريعا لها؛ بتذكيرها بمقالتها الشعرية التي كانت تحرض بها أخاها لمحاربة بني أمية نصرة لعلي وولده الحسين؛ وقد استهلها بالاستفهام الاستنكاري؛ قائلا: "هيه، يا بنت الأسك ألست القائلة يوم صفين:

شمر كفعل أبيك يا ابن عمارة ... يوم الظعان وملتقى الأقران..."[٢].

ولا يخفى ما يشتمل عليه هذا التوظيف الشعري من قيمة حجاجية؛ فهو بمثابة مستند توجيه اتهام للمخاطبة، إنه مستند يتمثل في قولها الشعري الذي اكتسب قوته دليلا وبرهانا على جرمها بالتحريض على معاوية؛ بفضل ما يتمتع به الشعر من الذيوع والانتشار؛ فهو قول ثابت بفعل الرواية والمشافهة التي اتسمت بها العقلية العربية في هذا الزمان. ومن ثم فهو حجة لا تقبل الرد ولا التكذيب بعدما شاع على ألسنة الناس، وبلغ الأسماع والآذان. ولذلك فإن المرأة نفسها لم تملك أمام قوة هذه الحجة سوى التسليم والإقرار: "قالت: أي والله، ما مثلي من رغب عن الحق واعتذر بالكذب".

وأما الموضع الثاني فهو موضع الافتخار والثناء من المرأة على أخيها عبر استلهام وصف الخنساء أميرة الرثاء في أدبنا العربي لأخيها صخر: "كان والله كقول الخنساء:

وإن صخرا لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار"[٣].

١ – ابن طيفور، بلاغات النساء، ص٣٥.

٢ – السابق نفسه، ص٣٥.

٣ – السابق نفسه، ص٣٦.

وهنا وللمرة الثانية تتجلى قوة النص الشعري في إقرار الخصم (معاوية) بمضمونه "قال: صدقت، لقد كان كذلك".

وأما الموضع الثالث فهو موضع بكاء لا يختلف عن نظيره لدى أروى بنت الحارث: "فأطرقت تبكي؛ ثم أنشأت تقول:

صلى الإله على جسم تضمنه ... قبر فأصبح فيه العدل مدفونا.

قد حالف الحق لا يبغي به بدلا .. فصار ب الحق والإيمان مقرونا"[١].

وهنا يُلاحَظ من مجموع الموقفين البكائيين (موقف أروى بنت الحارق وموقف سودة بنت عمارة) كيف كان النص الشعري مقرونا ببكاء المرأة، متضافرا معه في توظيف واحدة من أدوات المرأة لا نقول في حجاج الرجل، ولكن نقول في مواجهته وخصومتها معه.

وفي المحاورة الرابعة لبكارة الهلالية نلتقي مع توظيف مشابه للتناص الشعري الأول في محاورة سودة بنت عمارة؛ فهو تناص باستدعاء ثلاثة نصوص شعرية للمرأة "سودة بنت عمارة" تحرض فيها على معاوية وبني أمية ومن هذه النماذج: "فابتدأ مروان وقال أما تعرف هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: ومن هي؟ قال: هي التي كانت تعين علينا يوم صفين، وهي القائلة:

يا زيد دونك فاستشر من دارنا ... سيفا حساما في التراب دفينا.

قد كان مذخورا لكل عظيمة ... فاليوم أبرزه الزمان مصونا"[٢].

وكما هو الحال في النصوص الشعرية السابقة يفرض النص الشعري قوته الحجاجية بوصفه دليل إدانة وبرهانا على الموقف السياسي والأيديولوجي

١ – السابق نفسه، ص٣٦.

٢ – السابق نفسه، ص٣٩، ٤٠.

المعادي لبني أمية؛ وهو ما ينعكس على المرأة تصديقا وإذعانا: "وأنا والله قائلة ما قالوا لا أدفع ذلك بتكذيب..."[١].

٤-٣- توظيف الخطابة:

لقد تم توظيف بنية الخطبة في هذه الحوارات من خلال تقنية الاسترجاع والتذكر، الذي يتخلل المشهد الحواري القائم بين الشخصية النسوية من جهة ومعاوية وجلسائه من جهة، ومن الواضح أن هذا التوظيف للخطبة يعزز القيمة الحجاجية والبلاغية للنص؛ ذلك أن الخطابة شديدة الصلة بالبلاغة من ناحية وبالحجاجية من ناحية ثانية؛ حتى إنه يمكن القول: إن "أهم ما يميز هذا الأسلوب الخطابي هو أنه إقناعي وبلاغي"[٢]. بل إن الخطابة التي كانت مدار اهتمام "أرسطو" هي حسب وصفه "قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"[٣].

وأما عن نصيب الخطابة في كتاب بلاغات النساء فيبدو أنه كان نصيبا وافرا؛ إذ وظفت الخطابة في اثنتين من المحاورات الخمسة محل الدراسة؛ هما: محاورة الزرقاء بنت عدي ومحاورة أم الخير البارقية. وقد أدت الخطبتان دورا حجاجيا إقناعيا بارزا في المحاورتين؛ بحيث يمكننا أن نسجل عدة ملحوظات حول هاتين الخطبتين على النحو الآتي:

١- الخطبتان وردتا على لسان محاورتي معاوية (الزرقاء / أم الخير) في مناصرتهما لحزب عليّ بن أبي طالب في خصومته مع معاوية، وقد تم استدعاء الخطبتين من قِبل معاوية في مواجهة المحاورتين. وبذلك فقد صار

---

١ – السابق نفسه، ص٤٠.

٢ – حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص١٠٧.

٣ – أرسطوطاليس، الخطابة (الترجمة العربية القديمة)، تحقيق وتعليق: عبدالرحمن بدوي، نشر وكالة المطبوعات – الكويت، ودار القلم – بيروت، ١٩٧٩م، ص٩.

للخطبتين وظيفة حجاجية مزدوجة؛ إذ هما تؤديان وظيفة تحريضية وتوجيهية في سياق الصراع العسكري بين معاوية وعلي، ثم هما كذلك قد أديتا وظيفتهما كدليل إدانة في سياق المحاورة الحجاجية بين معاوية والمرأتين.

٢- أما الوظيفة الأولى فتمثلت في الغاية التأثيرية الإقناعية وما تفضي إليه من تحريض وتجويه لجمهور المتلقين لهاتين الخطبتين في سياقيهما؛ من حيث شحذ همم أنصار عليّ لمواصلة نصرته، وذلك بالتحريض على حرب معاوية، رفضا لدعاواه بشأن الخلافة؛ وهذه الوظيفة التوجيهية التحريضية هي التي ميزت الخطابة في نشأته؛ حيث يقول محمد مندور: "نشأت الخطابة كفن أدبي قائم بذاته عندما كانت أهم وسيلة للاتصال بالجماهير وتوجيهها"[١]. وتتحقق تلك الوظيفة عبر هذا الكم الكبير من الأدوات الحجاجية اللغوية والبلاغية والمنطقية التي وظفت في الخطبتين كلتيهما؛ إذ من خصائص الخطابة المتعارف عليها "توظيف أساليب الحجاج اللغوي المختلفة التي تتجاوز أسلوب التوكيد إلى التفسير والتعليل، والاستدراج والاستمالة، والترغيب والترهيب، وتوظيف الإنشاء الطلبي بغرض توليد الأفكار والمعاني في عقول المتلقين وأفئدتهم"[٢]. ولا شك أن هذه الوظيفة الحجاجية مسندة إلى المرأة، مبرزة -من خلال ما تضمنته كل خطبة من أدوات حجاجية واستراتيجيات إقناعية- بلاغة المرأة وحسن بيانها وقدرتها على التأثير والتوجيه بما لا يتسع المقام للاستفاضة فيه.

١ - محمد مندور، الأدب وفنونه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، طبع يناير ٢٠٠٠، ص١٥٢.

٢ - أحمد يحيى علي، وأحمد عبدالعظيم محمد، خطاب النثر العربي: بلاغة التشكيل والتأويل، طبع عالم الكتب - القاهرة ٢٠١٦م، ص٢٧.

٣- وأما الوظيفة الثانية فتمثلت في الدور الحجاجي الذي مثلته كل خطبة من هاتين الخطبتين في سياق المحاورة بين معاوية ومحاورتيه؛ إذ يغدو استدعاء معاوية لهاتين الخطبتين بمثابة الاستشهاد والتدليل على صدق دعواه في حق المرأتين؛ وتعزيزا لموقفه في مواجهتهما؛ ففي محاورة الزرقاء بنت عدي؛ يجعل من هذه الخطبة داعيا لاستضافته محاوِرته؛ حيث يقول: "بعثت إليك أن أسألك ألست راكبة الجبل الأحمر يوم صفين بين الصفين توقدين الحرب وتحضين على القتال؟! فما حملك على ذلك؟ قالت: يا أمير المؤمنين، إنه قد مات الرأس وبتر الذنب والدهر ذو غير، ومن تفكر أبصر والأمر يحدث بعده الأمر. قال لها: صدقت، فهل تحفظين كلامك يوم صفين؟ قالت: ما أحفظه. قال: ولكني والله أحفظه ..."[١]. فمعاوية يتخذ من استدعاء هذه المحاورة -كما نرى- أداة للضغط على محاورته، وتقريعها، وهو الأمر الذي انعكس أثره في ردودها الاعتذارية التي تنطوي على إذعان للخصم، مع سعي لتجنب تذكار الأمر؛ ومحاولة التهرب منه؛ حين ردت عليه قائلة "ما أحفظه".

٤- وفي المحاورة الثانية مع أم الخير البارقية يجعل من خطبة المرأة في مواجهته والتحريض عليه يوم قتل عمار بن ياسر محورا لاستدراج خصمه/المرأة إلى ما يوهن جانبها، ويضعف موقفها، وخاصة في ظل هذا الحضور الكبير الذي هيأ له الخليفة معاوية مجلسه مفتخرا بسيادته وقدرته وحلمه؛ فهو يستدعي الخطبة بالطريقة نفسها التي استدعى بها خطبة الزرقاء؛ حيث يقول: "كيف كان كلامك يوم قُتل عمار بن ياسر؟"[٢]، وهو

١ – ابن طيفور، بلاغات النساء، ص٣٨.

٢ – السابق نفسه، ص٤١.

ما أجبر المحاورة على أن تسلك مسلك الزرقاء ذاته في التهرب من تذكار الخطبة تهربا ممزوجا بالاعتذار؛ حيث "قالت: لم أكن والله رويته قبل ولا زورته بعد، وإنما كانت كلمات نفثهن لساني حين الصدمة، فإن شئت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت. قال: لا أشاء ذلك، ثم التفت إلى أصحابه فقال: أيكم حفظ كلام أم الخير؟ قال رجل من القوم: أنا أحفظه يا أمير المؤمنين كحفظي سورة الحمد قال هاته ..."[1].

٥- وفي مواجهة تهرب المرأتين من تذكر الخطبتين؛ ورغبتهما في تجاوز الأمر إلى غيره (ما أحفظه – لم أكن والله رويته قبل ولا زورته بعد – فإن شئت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت)، يأتي إصرار الخصم/ معاوية –كما سلف– على استدعاء الخطبة بوصفها دليلا دامغا على تورط محاورتيه فيما يعد –وفق قانون الدولة الحاكمة– جريمة تستدعي العقوبة، ناهيك عن الخزي المعنوي في حق المرأة؛ حيث يقول في الأولى "ولكني والله أحفظه"، ويقول في الثانية "لا أشاء ذلك" ثم يتوجه إلى أصحابه متسائلا: "أيكم حفظ كلام أم الخير؟". وفي استدعائه للخطبتين ما يعزز القيمة الحجاجية لهما بوصفهما –كما سلفت الإشارة– دليلين ماديين؛ ومحل الدلالة هاهنا يرجع – في رأيي– إلى معطى ثقافي مهم، وهو تلك الموهبة العربية التي فُطر عليها أهل الجزيرة العربية من قدرة فائقة على الحفظ، والتي جعلت من ذاكرتهم الفردية والجمعية معادلا للدواوين والسجلات المكتوبة في وقت لم تكن الكتابة فيه قد أخذت نصيبها الذي يؤهلها لحفظ مثل تلك النصوص وتوثيقها. لقد كانت ذاكرة الخليفة/ معاوية المؤكَّدة بالقسم "ولكني والله أحفظه" وذاكرة صاحبه المعززة بكاف التشبيه "أنا أحفظه ... كحفظي سورة الحمد"، كانت

١ – السابق نفسه، ص٤٢.

الذاكرة الموثوقة المؤكدة بمثابة الوثيقة المدونة التي لم تكن قد شاعت شيوعا كافيا في عهد معاوية، أو التسجيل الصوتي المؤرشَف الذي لم تعرفه البشرية وتتخذه دليلا على إثبات الكلام لقائله إلا في عصرنا الحديث. إن في هذا الإصرار على استحضار الخطبة منسوبة إلى قائلتها تأكيد قوي على قيمتها الحجاجية بوصفها كما أوضحنا وثيقة ودليلا ماديا على إدانة الخصم/ المرأة.

المبحث الثالث: الآليات البلاغية للحجاج:

فضلا عما سبق تناوله من أساليب بلاغية إنشائية تحت مبحث "الآليات اللغوية والأسلوبية للحجاج"، فإن النص الحجاجي بصفة عامة، ونصوصنا المختارة من "بلاغات النساء" بصفة خاصة، تتوسل بمزيد من الآليات والوسائل البلاغية الأخرى من صور البديع، وأساليب البيان المختلفة التي تعد معززات جلية الأثر في بناء النص الحجاجي؛ إذ إن مما يعزز من الخطاب ويقوي من حجاجيته أن يكون موجها للعقل والقلب معا، وسبيل تحقق ذلك أن "يجمع بين المضمون العقلي للحجة وصورها البيانية، أو بين التبرير العقلي والمحسنات البيانية"[١]. وهذا يعني أن من مهام التوظيف البياني والبديعي تأدية دور إقناعي عبر مخاطبة أحد مرتكزي التلقي والاقتناع، وهو القلب، ولعل مما لا يخفى دور البيان والبديع في مخاطبة القلب والوجدان.

ولعل في هذا أيضا ما يحيلنا إلى ما سبقت الإشارة إليه –تحت عنوان التناص– من أهمية بعض النصوص الداعمة ذات الحمولة الجمالية الرفيعة (بيانيا وبديعيا) المضمنة في بنية الحوار، وذلك كأبيات الشعر ونماذج الخطابة والحكم والأمثال ... إلخ. في حين تؤدي بعض المقولات والاستشهادات المضمنة دورا إقناعيا عقليا، وفي مقدمة تلك المقولات نُقول القرآن الكريم، وأقول النبي

١ – حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص١١٠.

المصطفى ﷺ، التي تمثل قاسما مشتركا، ومساحة اتفاق رئيسة فكريا وعقديا عند أطراف الحوار: النساء ومعاوية وجلسائه.

ولا عجب في الربط بين مباحث البلاغة والإقناع الذي هو غاية الحجاج، فكما أسلفنا من قبل وراء كل حجاج بلاغة، والعكس صحيح، بل في تعريفات بلاغيينا ما يشير إلى تلك الطبيعة الحجاجية للبلاغة؛ فهذا أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) يورد تعريفا للبلاغة بأنها: "قول مُفْقِه في لطف؛ فالمُفْقِه: المُفْهِم، واللطيف من الكلام: ما تَعْطِف به القلوب النافرة، ويُؤْنِس القلوب المستوحشة، وتلين به العريكة الأبية المستَصْعَبَة، ويُبلَغ به الحاجة، وتقام به الحجة؛ فتخلص نفسك من العيب، ويلزم صاحبك الذنب، من غير أن تهيجه وتقلقه، وتستدعي غضبه، وتستثير حفيظته"[١]. وإجمالا فإن لأبواب البلاغة من بيان وبديع دورها الجلي في تحقيق الغاية الإقناعية الكامنة وراء الخطاب الحجاجي؛ وهو ما يمكن بيانه من خلال ما يأتي:

١- الأساليب البيانية:

تتأسس الأساليب البيانية على مفهوم المجاز الذي يمثل خرقا للدلالة المباشرة ولمألوف القول مما يحقق أثرا بالغا في استثارة وعي المخاطب/المتلقي؛ وهنا يبرز دور المجاز في بناء النص الحجاجي؛ إذ يتم توظيفه "لخلق صور جديدة في محيطه انطلاقا من تركيب ونسج المعطيات الواقعية بطريقة إبداعية مما يجعل من هذه الصور محط اهتمام، تدفع السامع إلى تصورها من خلال تركيبه ونسجه الخاص لوقائع أو حقائق أخرى، فتجعله بذلك يشترك مع المتكلم في إبداعه، وهو نوع من التوافق الذي يتطلبه الحجاج"[٢]. وبعبارة أخرى فإن هذه

١ – العسكري، كتاب الصناعتين، ص٥١.

٢ – عبدالسلام عشير، عندما نتواصل نغير: مقاربة تداولية عرفية لآليات التواصل والحجاج، طبع أفريقيا الشرق– المغرب ٢٠٠٦م، ص١٢٣.

الوظيفة المتمثلة في استثارة المجاز لوعي المتلقي وخياله "تعمل على استدراجه بشكل غير مباشر إلى حقل المتكلم، وتثير انتباهه لما يقوله، وما يريد الوصول إليه، وبالتالي تدمجه في التفاعل الذي ينشده الحجاج"[١]. لعل هذه الطبيعة التي يتسم بها المجاز تقودنا إلى الإقرار بدوره في النهوض بالحجاج إلى الحد الذي يجعل المجاز متطلبا رئيسا وشرطا واجبا لتحقق الحجاج "بمعنى أن الذي يحدد ماهية الحجاج، إنما هو "العلاقة المجازية" ... فلا حجاج بغير مجاز" على حد تعبير طه عبدالرحمن[٢].

وبالنظر إلى الوسائل البيانية ودورها في تعزيز الخطاب واستمالة القارئ ترى ج. روس: أن "الصور البلاغية هي عملية أسلوبية تنشط الخطاب، ولها وظيفة إقناعية"[٣]. غير أن "هذه الصور –على الرغم من أهميتها– لا تستطيع أن تصمد أمام العقل النفاذ والشك الوقاد، ما لم تكن مدعومة عضويا بالحجج العقلية التي تخضع هي بدورها لمعيار القوة والضعف"[٤]. انطلاقا من هاتين المقولتين يمكننا القول إن الصور البلاغية من تشبيه واستعارة وكناية ... إلخ هي آليات معززة لا تعمل بمفردها، بل تتضافر مع غيرها من وسائل الإقناع العقلي واللغوي والأسلوبي المختلفة، تحقيقا لجانبي الإقناع (العقلي / الوجداني). ولما كانت صور البيان في بلاغتنا العربية كثيرة متنوعة؛ ولما كانت نماذجها في نصوص هذه الدراسة وفيرة متعددة؛ فقد آثرنا الانتقاء لبعض النماذج المعبرة

١ – السابق نفسه، ص١٢٣.

٢ – طه عبدالرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، المركز الثقافي العربي – المغرب، ص٢٣٢.

٣ – نقلا عن: حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص١١٠.

٤ – السابق نفسه، ص١١٠.

لصور بيانية شتى مما كان له أثره القوي في إجلاء حجة المتكلم في نصوص محاوراتنا الخمسة موضع الدراسة.

١-١-**التشبيه:** ومما قاله القزويني في التشبيه عامة، والتشبيه التمثيلي خاصة ودورهما في تجلية المعنى وتحريك النفوس تأثرا وانفعالا بالموقف والقضية المطروحة: "وإذا قد عرفت معنى التشبيه في الاصطلاح، فاعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره، وفخامة أمره في فن البلاغة، وأن تعقيب المعاني به – يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحًا كانت أو ذمًّا، أو افتخارًا، أو غير ذلك"[١].

ولعل أبرز مثال للتشبيه في المحاورات الخمسة موضع الدراسة هو ما يلقانا في المحاورة الخامسة على لسان رجل من الحضور لتلك المناظرة بين الخليفة معاوية ومحاورته أم الخير البارقية؛ حيث يقول في وصفها "وهي كالفحل يهدر في شقشقته"[٢]. وهو تشبيه مفصل يسعى الرجل من خلاله لإبراز جرم المرأة في حق معاوية، ببيان مدى تحمسها وانفعالها وقوة موقفها في مواجهة معاوية والتحريض عليه؛ فشبهها بالفحل، وهو الذكر الكبير من الإبل، ليس في مطلق حاله، بل في حال مخصوصة، وهي حال غضبه وهياجه.

١-٢-**التشبيه التمثيلي:** أو ما يسميه الجرجاني بالتمثيل، وهو فرع من التشبيه ولون خاص منه؛ فهو التشبيه "الذي يَحْصُل بضرب من التأوُّل"[٣]،

---

١ – الخطيب القزويني (جلال الدين محمد بن عبدالرحمن بن عمر)، الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، طبع دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ، ص١٦٤.

٢ –ابن طيفور، بلاغات النساء، ص٤٢.

٣ – الجرجاني (أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني)، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، طبع: مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة، ص٩٢.

ونموذجه الأجلى في هذه المحاورات ما نلقاه في محاورة "أروى بنت الحارث" حين تقول: "قصرنا أهل البيت منكم بمنزلة قوم موسى من آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم وصار ابن عم سيد المرسلين فيكم بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى حيث يقول يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني"[١].

ففي هذا النص الطويل بنية تشبيهية تمثيلية مركبة، تتألف من تمثيلين اثنين يعضد أحدهما الآخر في بيان حال آل البيت عامة، وعمدة آل البيت "علي بن أبي طالب" خاصة، في مواجهة بطش بني أمية خاصة:

فأما التشبيه التمثيلي الأول فهو تشبيه منزلة أهل البيت من بني أمية بمنزلة قوم موسى من آل فرعون، على ما في ذلك من استحضار تمثيلي لمشاهد من تاريخ الأمم السابقة مما حكاه القرآن الكريم في غير موضع، من اضطهاد فرعون وقومه لبني إسرائيل حتى كانوا "يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم"، ولا يخفى ما في هذا التشبيه التمثيلي من قوة في تصوير بشاعة ما تعرض له آل البيت من بطش على يد الأمويين، وهو مما يستحق التعيير ويستجلب الصغار؛ بل لا يخفى ما يشتمل عليه هذا التشبيه التمثيلي من مبالغة في المطابقة بين حال بني أمية مع آل بيت النبي وحال فرعون وقومه على ما هم عليه من كفر بالله.

وأما التشبيه التمثيلي الثاني؛ فهو تشبيه حال علي بن أبي طالب نفسه (رأس أهل البيت) في بني أمية بعد النبي محمد صلى الله عليه بحال هارون حين شكا لموسى حاله مع بني إسرائيل واستضعافهم له. ولا شك أن هذا التشبيه الثاني لا ينفصل عن سابقه، بل هو متمم له، معزز لمعناه، متصل بأسبابه؛ إذ

١ – ابن طيفور، بلاغات النساء، ص٣٢، ٣٣.

يؤديان معا المعنى المقصود من التعريض ببني أمية ومسلكهم الجائر في حق أهل البيت، وإنما وصفنا التشبيه هنا بالتعريض من باب كونه تشبيها أقل حدة وأكثر بلاغة من التشبيه المباشر الجلي، إذ إن التشبيه التمثيلي –على قول الجرجاني السابق– هو لون من التشبيه يَحْصُل بضرب من التأوُّل؛ أما ما لوحِظ من تضافر وتداخل بين البنيتين التمثيليتين في قول المرأة السابق، فهو مما يتسم به هذا اللون من التشبيه التمثيلي، ومما يناسب وظيفته في استثارة العقل ببعده عن التشبيه الصريح الظاهر؛ وفي هذا المعنى يقول الجرجاني: "والتشبيه الذي هو الأوْلَى بأن يسمَّى "تمثيلاً" لبُعده عن التشبيه الظاهر الصريح، ما تجدُه لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر، حتى إنّ التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليّاً محضاً، كانت الحاجة إلى الجملة أكثر"[1].

وتلك الهيئة والصفة التي قدم بها الجرجاني التشبيه التمثيلي هي التي تكسبه قيمته الجمالية والوظيفية في النص الحجاجي؛ وهي القيمة الماثلة في استثارة العقل والوجدان استخراجا للمعنى المقصود تأولا من جهة، وتذوقا للطف الإشارة به ثانيا؛ يقول الجرجاني: "واعلم أنّ مما اتفق العقلاءُ عليه، أن "التمثيل" إذا جاءَ في أعقاب المعاني، أو بَرَزَتْ هي باختصار في مَعرِضه، ونُقِلت عن صُوَرها الأصلية إلى صورته، كساها أُبَّهةً، وكَسَبها مَنْقَبةً، ورفع من أقدارها، وشَبَّ من نارها، وضاعف قُواها في تحريك النُّفوس لها، ودعا القُلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلَفاً، وقَسَر الطِّباع على أن تُعطيها محبّة وشَغَفاً، فإن كان مدحاً، كان أبْهَى وأفخم، وأنبلَ في النفوسَ وأعظم... وإن

١ – الجرجاني، أسرار البلاغة، ص١٠٨.

كان ذمّاً، كان مسُّهُ أوجعَ، ومِيسَمُه ألذع، ووقعُه أشده، وَحدُّه أحَدّ، وإن كان حِجاباً، كان بُرهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبَيَانه أبْهر..." [١].

ومن التشبيهات التمثيلية البليغة –كذلك– قول الزرقاء بنت عدي في المحاورة الثالثة، في خطبتها التي ألقتها على جموع المحاربين لمعاوية يوم صفين؛ والتي استرجعها معاوية على مسامعها تقريعا لها: "أيها الناس إن المصباح لا يضيء في الشمس، وإن الكوكب لا يقد في القمر، وإن البغل لا يسبق الفرس ..."[٢]، فالنص –كما نرى– يشتمل على تشبيهات تمثيلية متتالية تُسفِّه من شأن معاوية في مقارنته بعليّ، وهو ما شرحه محقق كتاب بلاغات النساء إجمالا بقوله: "والمراد من هذه العبارات أن الفرق بين معاوية وعلي كالفرق بين المصباح والشمس إلخ، تعني أن الثاني أفضل"[٣].

١–٣–**الاستعارة:** وفي تعريف الاستعارة يقول الجرجاني: "أما "الاستعارة"، فهي ضربٌ من التشبيه، ونَمَطٌ من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتُدركه العقول، وتُسْتَفتَى فيه الأفهامُ والأذهان، لا الأسماع والآذان"[٤]. ثم يردف قائلا: "والقول فيها أنّها دِلالة على حكمٍ يثبت للّفظ، وهو نقلُه عن الأصل اللغويّ وإجراؤه على ما لم يوضع له، ثم إن هذا النقل يكون في الغالب من أجل شَبَهٍ بين ما نُقِلَ إليه وما نُقِلَ عنه. وبيان ذلك ما مضى من أنك تقول: "رأيت أسدًا"، تريد رجلاً شبيهًا به في الشجاعة، و"ظبيةً" تريد امرأة شبيهة بالظبية"[٥].

---

١ – السابق نفسه، ص١١٥.

٢ – ابن طيفور، بلاغات النساء، ص٣٨.

٣ – السابق نفسه، هامش ص٣٨

٤ – الجرجاني، أسرار البلاغة، ص٢٠.

٥ – السابق نفسه، ٢٣٨، ٢٣٩.

وتعد الاستعارة أحد أهم الوسائل البلاغية الموظفة بقوة في النص الحجاجي؛ وذلك نظرا لقدرتها الأكبر على استثارة وعي المتلقي/المخاطب والتأثير فيه؛ ومن ثم إقناعه. حتى ليمكن القول: إنه "لم تعد الاستعارة محصورة في كونها صورة من صور البيان، بل أصبحت تمثل جانبا مهما من الأسس اللغوية وخاصية من خصائص الحجاج"[١]. وإجمالا فإن "القول الاستعاري يعد آلية حجاجية بامتياز"[٢].

وإذا كانت الاستعارة -كما هو معلوم- نوعين: تصريحية ومكنية، فقد أدَّى النوعان كلاهما دورهما في بناء النص الحجاجي بين معاوية والنسوة:

أما اللون الأول "الاستعارة التصريحية" فنلقاها في المحاورة الرابعة في قول بكارة الهلالية "نَبَحَتْنِي كلابك يا أمير المؤمنين"[٣]، تقصد بذلك جلساءه ممن تكالبوا على التذكير بأقوالها السابقة في معاوية*؛ وهي إذ تشتكيهم إلى معاوية رافضة تطاولهم عليها بالقول قد توسلت بالاستعارة التصريحية في وصف خصومها من جلسائه بالكلاب في تعبير لا يخلو من مبالغة؛ إذ إن الاستعارة ضرب من التشبيه ولكنه يأتي على وجه خاص هو المبالغة؛ وفي ذلك يقول الجرجاني: "ولكنّ التشبيه يحصُل بالاستعارة على وجه خاصٍّ وهو المبالغة"[٤].

---

١ – عبدالباسط ضيف، وعيسى أخضري، صور من الخطاب الحجاجي العربي المعاصر: دراسة مقارنة، بحث منشور في مجلة إشكالات في اللغة والأدب – مخبر اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات – جامعة عمار ثليجي، مج ٩ – ع ٥ سنة ٢٠٢٠م، ص ٤٢٠.

٢ – عبدالسلام عشير، عندما نتواصل نغير، ص١١٨.

٣ – ابن طيفور، بلاغات النساء، ص٤٠.

* – تبكيتا لها وتقريعا.

٤ – الجرجاني، أسرار البلاغة، ص٢٣٩.

ولـذلك فـإن مـن وظـائف الاسـتعارة (التصـريحية) أنهـا "تُقَـوّي أمـر المشـابهة وتُشَدِّدُه"[١]. وما هذه المبالغة وتلك التقوية وذاك التشديد إلا معززات لموقف المرأة الحجـاجي فـي مواجهـة خصـومها، وخاصـة أن تطاولهـا علـى جلسـاء محاورهـا الرئيس (معاوية) الذي هو قائدهم وأعلاهم رتبة ومقاما بوصفه خليفة للمسلمين، ما يجعل هذا الوجه من المبالغة، يغدو لونا من الزجر المبكر لمعاوية، وسعيا مبكرا لخلخلة موقفه تجنبا لتطاول محتمل ينبئ عنه مبالغتها في هجاء جلسائه.

وأما اللون الثاني "الاستعارة المكنية" فمنه في المحاورة الثانية قول معاوية لمحاورته "سودة بنت عمارة": "لقد لمظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان فبطيئا ما تفطمون..."[٢]. ومحل الاستعارة هاهنا في تشبيه الجرأة على السلطان بما يذاق من طعام أو شراب[٣]. وقد حذف المشبه به "ما يذاق" مع وجود القرينة الدالة عليه وهي فعل "اللمظ". ولا يخفى بلاغة المتحدث بهذه البنية الاستعارية في توجيه اللوم إلى علي بن أبي طالب والتقليل من شأنه، من خلال قلب حجة الخصم، إذ تعبيره الاستعاري هذا جاء ردا على استدعاء المرأة/المحاورة "سودة بنت عمارة" لموقف عليّ معها ومع قومها حينما شكت إليه اعتداء عامله على حقوقها وحقوق قومها، في لون من المقارنة التي سعت بها إلى تبرير مكانة عليّ عندها وجوابا على سؤال معاوية: "وما صنع بك حتى صار عندك كذلك؟"[٤]. فالاستعارة هاهنا كانت سلاحا موجها لتحطيم حجة الخصم/المرأة ونقضها.

١ – السابق نفسه، ص٢٤٢.

٢ – ابن طيفور، بلاغات النساء، ص٣٧.

٣ – في أساس البلاغة: "لمظه كذا، أذاقه إياه". الزمخشري، أساس البلاغة، ضمن الموسوعة الشعرية.

٤ – ابن طيفور، بلاغات النساء، ص٣٦.

وهكذا لا يخفى الدور الوظيفي الذي تؤديه الاستعارة في بناء النص الحجاجي؛ حتى ذهب بعض الباحثين إلى "أن الأقوال الاستعارية أقوى حجاجيا وأعلى مرتبة من الأقوال العادية"[١].

١-٤-**الكناية:** وهي كما وصفها شيخ البلاغيين: "أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه"[٢]. وفضل البلاغة هو فرع عن فضل المجاز عامة؛ فقد "أطبق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة، وأن الاستعارة أبلغ من التصريح بالتشبيه، وأن التمثيل على سبيل الاستعارة أبلغ من التمثيل لا على سبيل الاستعارة، وأن الكناية أبلغ من الإفصاح بالذكر"[٣]، وفي فضل الكناية -خاصة- يقول الجاحظ: "ومن البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح أوعر طريقة. وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدَّرَك، وأحقَّ بالظفر"[٤].

والنموذج الأول للكناية نلقاه في المحاورة الثانية في كلام سودة بنت عمارة: "فقالت: مات الرأس وبتر الذنب، وبالله أسأل أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيت منه"[٥]، وهو تعبير يحمل كناية عن ضعف الحال، مما يستوجب التلطف من

١ - عبدالباسط ضيف، وعيسى أخضري، صور من الخطاب الحجاجي العربي، ص ٤٢٠.

٢ - الجرجاني (عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة د.ت، ص٦٦.

٣ - القزويني، الإيضاح، ص٢٤٩.

٤ - الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص٨٨.

٥ - ابن طيفور، بلاغات النساء، ص٣٦. مع ملاحظة أن هذا التعبير قد تكرر في موقف حجاجي آخر مشابه في المحاورة الثالثة بين معاوية والزرقاء بنت عدي.

المحاور/ معاوية في محاججتها، وهي إذ تستخدم هذا التعبير تلتمس منه الإعراض عن التذكير بما مضى من خصومة.

أما النموذج الثاني ففي قول بكارة الهلالية في المحاورة الرابعة، في معرض الشكوى وإظهار الضجر لمعاوية من جلسائه الذين تطاولوا عليها "فقصر محجني"[١]؛ وهذا القول كما نرى كناية عن عجزها عن طرد من أسمتهم الكلاب (تعني جلساءه ممن تطاولوا عليها)، ولا يخلو صنيع المرأة من غرض استعطافي تسعى من خلاله إلى استمالة الخليفة معاوية لقضاء حاجتها، والتلطف معها مراعاة لمقام سنها وضعف حالها البادي الجلي أمامه بالقرائن الوصفية المقدمة في تمهيد الخبر "دخلت بكارة الهلالية على معاوية بن أي سفيان بعد أن كبرت سنها ودق عظمها ومعها خادمان لها وهي متكئة عليهما وبيدها عكاز"[٢]. وكأن المرأة لم تكتف بتلك القرائن الجلية البادية أمام خصمها فأرادت أن تعززها بملفوظها البلاغي متوسلة بأسلوب الكناية تعزيزا للخطاب وتقوية لحجتها في مواجهة خصمها؛ أو هي تثير انتباه المخاطب إلى ما هو ماثل أمام عينيه بالرؤية، مستثمرة الطاقة البلاغية للكناية مراعية لحال النفس الإنسانية التي تطلب الشاهد والدليل على صدق الدعوى؛ أو بتعبير الجرجاني "أما الكناية فإن السبب في أن كان للإثبات بها مزية لا تكون للتصريح، أن كل عاقل يعلم إذا رجع إلى نفسه، أن إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في جودها، آكدُ وأبلغُ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذجًا غفلاً"[٣]. وكأن المرأة بهذا المسلك البلاغي قد نجحت في استثمار حال ضعفها وصولا إلى تحقيق

١ – السابق نفسه، ص٤٠.

٢ – السابق نفسه، ص٣٩.

٣ – الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص٧٢.

انتصارها المادي المتمثل في قضاء الخليفة معاوية حاجتها، وهو ما تم بالفعل كما تنبئنا نهاية الخبر "فقضى حوائجها وردها إلى بلدها"[١].

لقد دعت الكناية بما تمتلكه من قيمة بلاغية في باب الحجاج عامة، وفي النص الحجاجي في كتاب "بلاغات النساء" لابن طيفور خاصة، بعض الباحثين إلى إفرادها بالبحث والدراسة تحت عنوان "أسلوب الكناية عن الصفة في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور"؛ وهي الدراسة التي خلصت –فيما انتهت إليه من نتائج– إلى أن المرأة في كتاب بلاغات النساء قد اعتمدت في حجاجها على رسم صور كنائية؛ لما للكناية من تأثير كبير على المتلقي؛ فهي تثير الانفعالات المناسبة من خلال إثارة التخييل المناسب لديه. كما خلصت الدراسة إلى الكناية كانت من أكثر الأساليب توافر في نصوص كتاب بلاغات النساء؛ وهو الأسلوب الذي وفر جوا حواريا أكثر تلطفا من الجو الذي كان يمكن أن يخلفه التعبير المباشر الصريح[٢].

٢ – الأساليب البديعية:

يبدو أن الإغراء وغواية المستمع هو سمة أصيلة في اللغة –أي لغة– فاللغة بحكم ارتباطها بتحقيق وظيفة التواصل بوصفها أحد أهم وظائف اللغة، تحمل في ثناياها وخلاياها وبنيتها عوامل الإغراء والإقناع إلى الحد الذي دفع بعضهم إلى القول: "وقد لا نبالغ إذا قلنا إنه باستثناء لغة الرمز والدلالات الواحدة، لا نكاد نعثر على لغة طبيعية لا تنزع من تلقاء ذاتها إلى الإغراء"[٣].

---

١ – ابن طيفور، بلاغات النساء، ص٤٠.

٢ – يُنظر: خليل عبد السادة، وزينب الموسوي، أسلوب الكناية عن الصفة في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور، الخاتمة (ص١٧٩ – ١٨٠).

٣ – حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي، ص١١١.

إنه الإغراء الذي يقودنا إلى الرهان الأكبر للغة، و"هو تحقيق أعلى قدر من التواصل والإقناع"[١].

ولا شك أن صور البديع وألوان الصنعة اللفظية والمعنوية تمثل أدوات ناجعة في تحقيق فعل الإغراء والإقناع، بما تمتلكه من طاقة تأثيرية قوية في نفس المتلقي طربا بالإيقاع اللفظي (سجع / جناس / تكرار / الموازنة ... إلخ)، أو تلذذا بتدبر مكنونات المعنى الذي ينطوي عليه اللفظ (تورية / طباق / مقابلة / مراعاة نظير / الطي والنشر / أسلوب الحكيم ... إلخ).

وبمطالعة نصوص بلاغات النساء نجدها تنطوي على خطابات حوارية بليغة تتوسل بأساليب البديع التي شكلت توشيات جمالية تجلت في لغة فخمة ثرية بصنوف البديع المختلفة في غير تكلف ولا تصنع. ولمقتضيات مقام إنجاز هذا العمل البحثي سنكتفي ببعض النماذج الدالة على بعض صور البديع التي أدت دورها في تعزيز بنية الحجاج في محاورات كتاب "بلاغات النساء" على هذا النحو:

٢-١- **السجع:** وهو نوع من المناسبة بين الألفاظ في الصيغ، وهو تماثل الحروف في مقاطع الفصول، أو هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير[٢]. والسجع إذا جاء سهلاً في غير تكلف يصير مصدرًا من مصادر شعرية النص النثري، من خلال ما يحدثه من أثر موسيقى، يعادل في أثره الإيقاعي المستحسن الأثر اللفظي للقافية في الشعر "وكما أن الشعر يحسن بتساوي قوافيه كذلك النثر يحسن بتماثل الحروف في

١ – سماح بن خروف، الآليات الحجاجية وأبعادها الجمالية، المدخل ص١١٦.

٢ – يُنظر: ابن سنان الخفاجي (أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد)، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص١٧١، والسيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٣٢٥.

فصوله، والمذهب الصحيح أن السجع محمود إذا وقع سهلاً متيسرًا بلا كلفة ولا مشقة"[١]؛ فالسجع إذًا يتكئ في شعريته وجماليته في النص النثري على إحداث الأثر الجمالي المادي الملموس لدى المخاطب/المتلقي؛ مع ما لذلك من قيمة وظيفية في استمالة المخاطب والتأثير فيه وجدانيا تمهيدا لتحصيل الإقناع بفحوى الحجاج وقضاياه.

ومن أمثلة السجع في المحاورة الأولى (ولعلها أكثر المحاورات ثراء بالسجع)[٢]:

١. "وتسميت بغير اسمك، وأخذت غير حقك".
٢. "فأتعس الله منكم الجدود، وأصعر منكم الخدود".
٣. "يذبحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم".
٤. "أيتها العجوز الضالة أقصري من قولك، وغضي من طرفك".
٥. "أربع على ظلعك، وأعن بشأن نفسك".
٦. "ما أنت من قريش في اللباب من حسبها، ولا كريم منصبها".
٧. أيتها العجوز الضالة ساخ بصرك، مع ذهاب عقلك، فلا يجوز شهادتك".
٨. "مع قصر قامته، وظاهر دمامته".
٩. "ولقد رأيت الحكم ماد القامة، ظاهر اللامة".
١٠. "قالت أشتري بها عينا خرخارة، في أرض خوارة".

ويعكس استقراء نماذج السجع في هذه المحاورة الأولى خاصة، وفي نصوص المحاورات الخمسة عامة، توظيفًا رشيدًا لبنية السجع في غير إفراط ولا تفريط، ففي حين لا تخلو محاورة واحدة من السجع، قد نقرأ السطرين والثلاثة وأكثر دون أن يمر بنا سجع، وهو أم يرجع إلى عفوية ورود السجع في نصوص

١ – ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص١٧١.

٢ – يُنظر: ابن طيفور، بلاغات النساء، ص٣٢ – ٣٥.

تلك المحاورات؛ مؤدية وظيفتها الجمالية والتأثيرية –كما أشرنا– بلا إفراط يخرج بها عن حد الاستساغة. فتوظيف السجع هاهنا يتسم بالتنوع وتجنب التكرار الصوتي إلى الحد الذي يؤدى إلى الملل والإثقال؛ فالمتكلم لا ينبي كلامه كله على السجع، بل يجعله عرضا بين جملتين فقط غالبا، فهو يوظفه عرضا، ويتخلص منه لحساب استيفاء المعنى وإيصال الفكرة الذي هو غاية الخطاب الحجاجي ومبتغاه. ولا شك أن لهذا المسلك كذلك قيمة موسيقية تحمي النص من الرتابة، ومن إثقال التكرارات الصوتية*.

غير أن أبرز ما يلفت النظر في تلك النماذج من النصية لتوظيف السجع هو اعتماد نسبة كبيرة منها على حروف الضمائر عامة، والخطاب منها خاصة؛ فمن بين ثمانية نماذج للسجع تم رصدها في المحاورة الأولى كان خمسة منها سجعا بالضمير، وثلاثة من هذه الخمسة كان الضمير فيها للمخاطب المفرد (اسمك – حقك / قولك – طرفك / ظلعك – نفسك). وهو أمر يعكس الطبيعة الحجاجية للمحاورة، بإبراز التوتر الذي يعكسه تواتر وتكرار كاف الخطاب.

٢-٢- **الجناس:** والجناس يشترك مع السجع في إحداث الأثر الموسيقى الجمالي في النص الأدبي، والجناس: هو اتفاق اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى، ولا يخفى ما للجناس من أثر في استثارة المتلقي؛ إذ من طبيعة النفس أن تستحسن المكرر مع اختلاف معناه، ويأخذها نوع من الاستغراب(١).

* يجعل ابن سنان الخفاجي التنويع في السجع سببًا من أسباب جودته، يقول "ومما يجب اعتماده في هذا ألا تجعل الرسالة كلها مسجوعة على حرف واحد، لأن ذلك يقع تعرضًا للتكرار وميلاً إلى التكلف." سر الفصاحة، ص١٧٩.

١ – يُنظر: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٣١٨، ٣١٩.

ويتسم توظيف الجناس في تلك المحاورات بالترشيد الشديد؛ فهو يأتي متفرقا في ثنايا الكلام دون قصد أو تكلف؛ كما كان أغلبه جناسًا ناقصًا غير تام*؛ مما يعد مؤشرًا على عفويته وعدم تكلفه؛ ومن نماذجه[1]:

١. "فأتعس الله منكم الجدود، وأصعر منكم الخدود". محاورة (١)

٢. "قصر قامته، وظاهر دمامته". محاورة (١)

٣. "ماد القامة، ظاهر اللامة". محاورة (١)

٤. "عينا خرخارة، في أرض خوارة". محاورة (١)

٥. "ألست راكبة الجمل الأحمر يوم صفين بين الصفين". محاورة (٣)

٦. "ألا من استرشدنا أرشدناه، ومن استخبرنا أخبرناه". محاورة (٣)

٧. "من عاش كبر، ومن مات قبر". محاورة (٤)

هكذا يأتي الجناس في نصوص "بلاغات النساء" على الخط ذاته الذي يسير عليه السجع، من التأثير الموسيقى الناجم عن التكرار الصوتي من غير إخلال بالمعنى، بل إنه غالبا ما يقع بينهما التداخل؛ فيكون موضع الجناس ذاته موضعًا للسجع كذلك، بمجيء الكلمتين المتجانستين في فاصلتي جملتين متتاليتين، وهو الغالب في الأمثلة المذكورة أعلاه؛ ومثال ذلك الكلمتين (الجدود، الخدود) فهما من قبيل الجناس والسجع في آن واحد.

* في أنواع الجناس الناقص يُنظر: العلوي (يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم)، الطراز، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، الجزء الثاني، ص١٨٦–١٩٣، وكذلك: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٣١٨، ٣١٩.

١ – ابن طيفور، بلاغات النساء، لأمثلة المحاورة الأولى يُنظر: ص٣٢ – ٣٥. ولأمثلة المحاورة الثالثة يُنظر: ص٣٧– ٣٩، ولأمثلة المحاورة الرابعة يُنظر: ص٣٩، ٤٠.

٢-٣- الطباق والمقابلة: ومن الأساليب البديعية شديدة الصلة بالحجاج، التي تم توظيفها في هذه النصوص، وتشيع كذلك في أنحاء كتاب "بلاغات النساء": الطباق، والمقابلة؛ فالطباق هو الجمع بين الشيء وضده في الكلام، ويكون الطباق على مستوى الكلمات (بين اسمين، أو فعلين، أو حرفين مختلفين) بينما تكون المقابلة على مستوى الجمل بأن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب[١].

ومن نماذج الطباق والمقابلة في النصوص محل الدراسة[٢]:

١. "فكنا أهل البيت أعظم الناس في الدين حظا ...، فصرنا أهل البيت منكم بمنزلة قوم موسى من آل فرعون ...". محاورة (١)
٢. "وغايتنا الجنة، وغايتكم النار". محاورة (١)
٣. "وما بينكما قرابة إلا كقرابة الفرس الضامر من الأتان المقرب". محاورة (١)
٤. "قالت: صدقت، إن عليا أدى الأمانة وعمل بأمر الله وأخذ به، وأنت ضيعت أمانتك وخنت الله في ماله فأعطيت مال الله من لا يستحقه". محاورة (١)
٥. "فإما عزلته عنا فشكرناك وإما لا فعرفناك". محاورة (٢)
٦. "فكان بيني وبينه ما بين الغث والسمين". محاورة (٢)
٧. "قالت: ألي خاص أم لقومي عام؟". محاورة (٢)
٨. "واعلم أني مجازيك فيها بالخير خيرا وبالشر شرا". محاورة (٥)
٩. "لا يطمعك والله برك بي في تزويقي الباطل، ولا يوئسنك معرفتك إياي أن أقول فيك غير الحق". محاورة (٥)
١٠. "استخلفه الناس وهم له كارهون وقتلوه وهم راضون". محاورة (٥)

---

١ – يُنظر: السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص ٢٩٢، ٢٩٣.

٢ – ابن طيفور، بلاغات النساء، لأمثلة المحاورة الأولى يُنظر: ص٣٢ – ٣٥. ولأمثلة المحاورة الثانية يُنظر: ص٣٥– ٣٧، ولأمثلة المحاورة الخامسة يُنظر: ص٤١ – ٤٤.

ويلاحظ أن توظف بنيتي المطابقة والمقابلة يهدف إلى إبراز المعنى*، ومن ثم فدورهما في تعزيز التباين بين القضايا والمواقف الحجاجية بين المتحاورين واضح جلي؛ ومثال ذلك المقابلة التي ساقتها أروى بنت الحارث بين حال أهل البيت قبل وبعد خلافة بني أمية في النموذج (١)؛ فهو توظيف للمقابلة تحقيقا للمقارنة التي تظهر بها جرم مخاطبها في الإساءة إلى أهل البيت؛ وهو ما يأتي تمهيدا وتهيئة للمحاور لقبول دعواها وطلبها الذي ستختتم به المحاورة بينها وبينه. وكذلك الحال في النموذج (٢) الذي يأتي مقارنة بين حال المتكلم بلسان الجمع (نحن) والمخاطب بلسان الجماعة (أنتم)؛ "وغايتنا الجنة، وغايتكم النار"، والنموذج (٤) الذي تقارن فيه بين حال عليّ –الذي تدين له بالولاء والتأييد– وخصمها معاوية من حيث صيانة الأول للأمانة وتضييع الثاني لها (حسب قولها). ويلاحظ أن هذه النماذج الثلاثة من أصل أربعة نماذج للمقابلة وردت في المحاورة الأولى، ووظفت لتحقيق المقارنة التي تعد أحد تقنيات الأسلوب العرضي* في بسط القضية، تمهيدا للدخول في حالة الجدل والمحاججة.

---

* لاحظ أن الطباق من ألوان البديع المعنوية، يقول الجرجاني: "وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع، فلا شبهة أن الحسن والقبح لا يعترض الكلام بهما إلا من جهة المعاني خاصة من غير أن يكون للألفاظ في ذلك نصيب... وأما "التطبيق" فأمره أبين، وكونه معنويًا أجلى وأظهر، فهو مقابلة الشيء بضده." الجرجاني، أسرار البلاغة، ص٢٠.

* حيث يرى "نورمان فريدمان وتشارلز مكلايولين" في كتابهما (المنطق والبلاغة والأسلوب) أن العرض يعتمد على ثلاثة أشكال، هي: التحليل والتصنيف والمقارنة؛ والمقارنة هي إحدى الطرق التي يعمل بها الإدراك الإنساني فالمقارنة هي عملية ذهنية تقوم على ربط موضوع بآخر برابط واحد لاستخلاص أوجه الشبه والاختلاف بينهما. يُنظر: سيد قطب، عبد المعطى صالح، كيف نمارس الخطاب في عرض الأفكار، ط١. ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م. كليوباترا للطباعة والكمبيوتر، الزيتون، القاهرة، ص٩٨، وص١١٠ وما بعدها. ويُنظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج٢، مادة: "المقارنة".

كما يلاحظ في النموذج الثالث في المحاورة ذاتها تضافر بنية المقابلة مع بنية التشبيه التمثيلي في تعزيز الفجوة في الشبه، ومن ثم النسب، بين محاورها وأبيه، وهي في ذلك تتوسل بما تستطيع من أدوات البلاغة بيانا (التشبيه التمثيلي) وبديعا (المقابلة) في تعزيز تقريعها لخصمها والتعريض به.

أما النموذج الخامس (المحاورة ٢) فيعكس توظيفا مغايرا للمقابلة؛ وهو توظيف حجاجي في المقام الأول؛ يقوم على التخيير المتضمن معنى التهديد؛ فالمرأة تطرح على مخاطبها "معاوية" الخيارين المفترضين مقرونين بموقفها وموقف قومها من كل خيار منها؛ فإما الخيار التصالحي الذي يراعي حال الشاكي (المرأة وقومها) وإما الخيار الذي يتجاهل حال الشاكي ويأبى تلبية طلب المحاورة، والموقف المقابل للمرأة وقومها كذلك يتباين بتباين خيار الخليفة معاوية، فهو الشكر حال الاستجابة، والمعرفة المفضية إلى موقف مجهول تلمح به المرأة إلى التمرد والمواجهة: "فإما عزلته عنا فشكرناك وإما لا فعرفناك".

وأخيرا يُلاحظ أن توظيف بنية المقابلة في بعض النماذج (٥ / ٨ / ١٠) يقترن بالسجع وتوازي الجمل مما يعد تعزيزا للقيمة البلاغية والجمالية بالجمع بين داعي التأمل في المعنى (الطباق والمقابلة) وداعي الالتذاذ بالمبنى (السجع وتوازي الجمل).

وهكذا يحدث التداخل بين ألوان البديع مثريًا الإنشاء الأدبي والنص الحجاجي جماليًا ودلاليًا.

أخيرًا، فإن بنية المقابلة أو الطباق على وجه الخصوص لها حضورها القوى في تلك المحاورات الحجاجية، ولها انعكاسات مختلفة على الخطاب بوصفها بنية بديعية قائمة على المعنى والدلالة، لأنها مناط المفارقة، فهي الأليق بتصوير تباين مواقف المتحاورين ووجهاتهم وآرائهم، كما تنعكس على الموقف والأحداث والأخبار الحكائية المختلفة التي يحكمها كثير من التباين والتناقض

والمقابلة يصور عمق الأزمة السياسية، وتباين المواقف الأيديولوجي بين معاوية ومحاوراته.

٢-٤- **الإطناب بالترادف:** لون بديعي آخر اشتملت عليه تلك النصوص الحوارية، كما اشتمل عليه كتاب "بلاغات النساء"، ومن نماذج هذا الإطناب في المحاورات الخمسة[١]:

١- "فأتعس الله منكم الجدود، وأصعر منكم الخدود". محاورة (١)

٢- "أقصري من قولك، وغضي من طرفك". محاورة (١)

٣- "أربع على ظلعك، وأعن بشأن نفسك". محاورة (١)

٤- "ولقد رأيت الحكم ماد القامة، ظاهر اللامة". محاورة (١)

٥- "فض الله فاك، وأجهد بلاءك". محاورة (١)

٦- "قالت: أنشدك الله يا أمير المؤمنين وإعادة ما مضى، وتذكار ما قد نسي". محاورة (٢)

٧- "قالت: إنك أصبحت للناس سيدا، ولأمرهم متقلدا". محاورة (٢)

٨- "ولا يزال يقدم علينا من ينوء بعزك ويبطش بسلطانك، فيحصدنا حصد السنبل، ويدوسنا دوس البقر، ويسومنا الخسيسة، ويسلبنا الجليلة". محاورة (٢)

٩- "يقول لي: فوهي بما أستعصم الله منه وألجا إليه فيه". محاورة (٢)

١٠-"ثم قال لي برأفة وتعطف...". محاورة (٢)

---

١ - ابن طيفور، بلاغات النساء، لأمثلة المحاورة الأولى يُنظر: ص٣٢ - ٣٥. ولأمثلة المحاورة الثانية يُنظر: ص٣٥- ٣٧. ولأمثلة المحاورة الثالثة يُنظر: ص٣٧- ٣٩، ولأمثلة المحاورة الرابعة يُنظر: ص٣٩، ٤٠. ولأمثلة المحاورة الخامسة يُنظر: ص٤١ - ٤٤.

١١–"أيحسن بمثلي أن يتحدث الناس أني قتلت امرأة بعدما ملكت وصار الأمر لي". محاورة (٣)

١٢–"توقدين الحرب، وتحضين على القتال". محاورة (٣)

١٣–"ومثلك أعطى عن غير مسألة، وجاد عن غير طلب". محاورة (٣)

١٤–"كبرت سنها ودق عظمها" محاورة (٤)

١٥–"فقال معاوية: بحسن نيتي ظفرت بكم وأعنت عليكم". محاورة (٥)

١٦–"اغتيل من مأمنه، وأوتي من حيث لم يحذر". محاورة (٥)

ويلاحظ أن الإطناب بالترادف مما يكثر في تلك المحاورات، والذي يبدو أنه في هذا المقام ضرورة من ضرورات مراعاة مقام القول؛ إذ هو أحد الموضوعات التي جعلها أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ تقريبًا) موضعًا للإطناب وإشباع الكلام، وهي: "الإحماد والإذمام والثناء والتقريظ، والذم والاستصغار، والعذل والتوبيخ، وسبيل ذلك أن تشبع الكلام فيه، ويمد القول حسب ما يقتضيه آثار المكتوب إليه في الإحسان والإساءة، والاجتهاد والتقصير؛ ليرتاح بذلك قلب المطيع، وينبسط أمله، ويرتاع قلب المسيء ويأخذ نفسه بالارتداع"[١].

فأبو هلال العسكري يذكر أصنافًا من الموضوعات وما يناسب كلاً منها، ومن ذلك الذم والاستصغار وما يرادفه من العذل والتوبيخ؛ وهو ما تمثله النماذج (١ / ٢ / ٣ / ٥) من المحاورة الأولى، وهي من كلام أروى بنت الحارث ذمًّا وتعريضًا بخصومها المتمثلين في محاورها الخليفة معاوية وجليسيه. ومن تلك المقامات كذلك مقام المدح والثناء؛ ومنها النموذجان (٧ / ١٣) اللذان يأتيان مدحا للمحاور (الخليفة معاوية) مما يعد لونا من الاستمالة للمخاطب/ الخصم

١ – أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص١٥٦.

تهيئة لتلبية مطلب المرأتين (عزل الوالي في الأولى وإجزال العطاء بغير مسألة للثانية).

وهكذا جاء خطاب النساء لمحاورهم (معاوية وجلسائه) خطابا بلاغيا ونثرا فنيًّا وأدبيًّا رفيعًا مشتملاً على جل ألوان البديع من جناس وطباق وسجع وتوازن ومناسبة وإطناب... إلخ.

المبحث الرابع: الآليات المنطقية العقلية للحجاج:

يمكن القول "إن النص الحجاجي هو ميدان المنطق فكرًا ونطاقًا وعرضًا"[١] ؛ ذلك أن الهدف الأول والأساسي للنص الحجاجي هو الوصول إلى الإقناع، فهو نص يسعى إلى مخاطبة العقل واستمالته وإقناعه، ومن ثم فالوسائل والآليات المنطقية والعقلية تغدو أجلى حضورا وأقوى تأثيرا في النص الحجاجي، فهي الوسائل الأكثر فاعلية في أدائه رسالته التواصلية والإقناعية.

ولما كان القياس هو أهم الآليات المنطقية؛ فقد آثر الباحث الاكتفاء به نموذجا ممثلا لتوظيف الآليات المنطقية والعقلية في الخطاب الحجاجي في تلك المحاورات؛ ذلك أن القياس هو عماد الخطاب الحجاجي/الجدلي؛ بحيث يمكن القول إن "الجدل هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات"[٢]، ثم ينضم إلى القياس سائر الأساليب المنطقية والعقلية المتفرعة عنه أو المجاورة له، من تدعيم بالحجج والأدلة، وتمثيل وتحليل ومقارنة... إلخ.

- **القياس:**

والقياس عند الشريف الجرجاني هو "قول مؤلف من قضايا متى سُلِّمَت لزم عنها لذاتها قول آخر، كقولنا العالم متغير، وكل متغير حادث، فإنه قول مركب من قضيتين، إذا سلمتا لزم عنها لذاتها العالم حادث، هذا عند المنطقيين..."[٣].

وتفيد هذه البنية المنطقية للقياس في الانتقال بالمخاطب مما هو مشهور، أو مسلم به عنده إلى ما هو مرفوض، أو مجهول عنده، وهو الأمر الذي يخدم الهدف الإقناعيّ للخطاب الحجاجي، يقول د/ محمد العبد "فالقياس المنطقي

---

١ – عبد الوهاب الرقيق، في السرد " دراسات تطبيقية"، ط١– ١٩٩٨م، دار محمد علي الحامي، تونس، ص١٧٦.

٢ – الشريف الجرجاني، التعريفات، مادة: "جدل".

٣ – السابق نفسه، مادة: "القياس"، ويُنظر: جميل صليبا، المعجم الفلسفي، جـ٢، مادة "القياس".

"Syllogism" وسيلة منطقية من وسائل التعليق بين الأقوال "Statements". في القياس المنطقي يصبح أحد القولين مرتبطًا بالآخر عن طريق تعليقهما بقول ثالث يمثل طبقة من الموضوعات أو المفاهيم أعلى من القولين الآخرين. وما ينتج عن ذلك هو "المعادل الحجاجي Argumentative Equipment" لما يسمى بـ "الاستدلال Education" عند المناطقة"[1].

يسوق تعريف "الجرجاني" الآنف ذكره نموذجًا تقليديًّا مبسطًا للقياس على النحو الآتي:

كل متغير حادث (مقدمة كبرى) قولان مقبولان
العالم متغير (مقدمة صغرى) من المخاطبة

العالم حادث (نتيجة) يلزم المخاطب التسليم بها

ولا تعدم تلك المحاورات المختارة من كتاب "بلاغات النساء" توظيفًا للقياس بوصفه آلية منطقية للمحاورة الحجاجية بين معاوية وضيفاته، وأحيانا بينهن وبين جلسائه؛ ومن نماذج هذا القياس الذي نجح المتحاورون في توظيفه توظيفًا فنيًّا بليغًا في خدمة خطابهم الحجاجي الإقناعي:

نموذج (١):

"**فقال مروان بن الحكم: أيتها العجوز الضالة ساخ بصرك مع ذهاب عقلك؛ فلا يجوز شهادتك**".

من ضل وساخ بصره وذهب عقله لا يجوز شهادته (مقدمة كبرى) قول عام مقبول
أنت عجوز ضالة ساخ بصرك مع ذهاب عقلك (مقدمة صغرى) ادعاء في حق المخاطب

أنت لا يجوز شهادتك (نتيجة) يسعى المتكلم لإلحاقها بالمخاطب

١ – محمد العبد، النص الحجاجي العربي، ص٥٦.

ومن خلال هذه البنية القياسية نلاحظ:

يندرج هذا القياس تحت ما يسمى بالقياس المضمر، وهو القياس الذي حذفت إحدى مقدمتيه، والتي عادة ما تكون المقدمة الكبرى، وهو الأمر الغالب في النصوص الحجاجية العربية[١]. وفي هذا النص يحاول المحاور الذي هو جليس معاوية "مروان بن الحكم" أن يبطل ما ادعاه الخصم "أروى بنت الحارث" من تعريض برفيقه عمرو بن العاص في بلاط معاوية؛ بعدما كالت المرأة لعمرو من السباب والتعريض والطعن في النسب ما لا يليق؛ فأراد أن يبطل دعواها، فلم يجد أنسب لإبطالها سوى الطعن في أهلية المرأة للشهادة والقول المعتبر عند أولي العقل والنظر؛ وقد أغراه باتباع هذا السبيل في الرد على المرأة كبر سنها؛ ولذلك فقد ناداها بقوله: "أيتها العجوز الضالة" ثم أتبع ذلك بادعاء أمرين من لوازم كبر السن في الغالب؛ هما: ضعف البصر "ساخ بصرك" وذهاب العقل "مع ذهاب عقلك"؛ فهذان الادعاءان في حق المخاطب/الخصم مناسبان لحال الكبر الذي مهد المحاور به حديثه "العجوز الضالة". وقوة هذا الادعاء تكمن في تكوينه مع مقدمة كبرى مضمرة؛ وهي قول عام مقبول عقلا وعرفا عند الجماعة الإنسانية "من ضل وساخ بصره وذهب عقله لا يجوز شهادته"، فهي مقدمة كبرى مضمرة؛ ولكنها مفهومة ضمنا من الحديث، ومقبولة عقلا كما أشرنا. لا يتبقى والحال كذلك إلا التسليم بادعائه الذي يمثل المقدمة الصغرى "أيتها العجوز الضالة ساخ بصرك مع ذهاب عقلك" وهو أمر كما أشرنا قريب إلى التصديق نظرا لحال المرأة التي تُفهم ضمنا من قرينة وصفها التي استهل بها الخبر كله في موضع سابق "وهي عجوز كبيرة"، ومن قرينة أخرى هي مخاطبة معاوية لها عبر إسناد رتبة

١ – يُنظر: السابق نفسه، ص ٥٨، ٥٩، ويُنظر: نماذجه للقياس المنطقي، والقياس المضمر، والقياس المتدرج، ص ٥٦ – ٦١.

اجتماعية أعلى لها "يا عمة". وهنا يكون حاصل المقدمتين: الكبرى المضمرة المقبولة عقلا وعرفا، والصغرى المذكورة في النص والمدعمة بواقع حال المرأة ووصفها، هو التسليم بالنتيجة التي مفادها "فلا يجوز شهادتك".

لكن الطريف في هذه الحجة المنطقية التي التمس فيها مروان بن الحكم دحض كلام المرأة "أروى بنت الحارث" وإبطال دعواها وتعريضها، أن هذه الحجة نفسها بما فيها من تهجم على المرأة يبدو جليا في وصفه لها "أيتها العجوز الضالة..."، قد جلب عليه مزيدا من غضب المرأة التي كالت له الاتهام والتعريض بمثل ما عرَّضت بسابقه عمرو بن العاص وأكثر، في لغة تجمع بين السخرية والتهكم والاحتقار والتعريض في آن معا: "قالت: يا بني، أتتكلم؟ فوالله لأنت إلى سفيان ..." إلى آخر حديث المرأة. وهنا يبدو عجز هذه الأداة المنطقية للحجاج عن تحقيق غايتها في إفحام الخصم "المرأة".

نموذج (٢):

"**قال: اكتبوا لها برد مالها والعدل عليها قالت: ألي خاص أم لقومي عام؟ قال: ما أنت وقومك؟ قالت: هي والله إذن الفاحشة واللوم إن لم يكن عدلا شاملا، وإلا فأنا كسائر قومي. قال: اكتبوا لها ولقومها**".

الكتابة لامرأة دون قومها يثير التهمة بالفاحشة ويدعو للوم (مقدمة كبرى) } قول عام مقبول
معاوية يأمر بالكتابة للمرأة خاصة دون قومها (مقدمة صغرى)

هذه الكتابة تهمة لي بالفاحشة ومدعاة للوم(نتيجة) يلزم المخاطب التسليم بها، والعمل بمقتضاها

ينتمي هذا القياس كسابقه إلى القياس المضمر؛ حيث أضمرت مقدمته الكبرى "الكتابة لامرأة دون قومها يثير التهمة بالفاحشة ويدعو للوم"، مع دلالة السياق عليها. وعلى خلاف النموذج السابق فإن هذا النموذج الحجاجي القائم على القياس منسوب إلى المرأة "سودة بنت عمارة" في ختام محاورتها لمعاوية؛

طلبا لرفع الظلم الواقع عليها وعلى قومها من قبل عامله عليهم "بسر بن أرطأة"؛ حيث كادت المحاورة أن تنتهي بإذعان معاوية لطلب المرأة بالكتابة لها برد مالها والعدل عليها؛ لكن المرأة العربية الحرة رأت أن ذلك عار عليها، وهي التي جاءت تمثل قومها، وتتحدث بلسانهم، أن يُكتب لها دون قومها، وأن تُعامل معاملة خاصة دون قومها؛ فعمدت إلى معارضة معاوية في لغة ذكية غير مباشرة عبر الاستفهام الاستنكاري: "ألي خاص أم لقومي عام؟"؛ وهو الاستفهام الذي قابله معاوية بجواب مراوغ في صيغة الاستفهام "ما أنت وقومك؟"، وكأنه يستنكر حديثها باسم قومها، ويصرفها عن الاهتمام بأمرهم، وأن تكتفي بعطيته لها دونهم؛ هنا لجأت المرأة إلى حيلتها الحجاجية بتوسل أداة حجاجية هي القياس المتكئ على العرف العربي الأصيل الذي ينزه المرأة الحرة عن مواضع الريبة؛ فبنت قياسها على مقدمتين: الكبرى مضمرة مفهومة ضمنا من السياق، ومقبولة عرفا لدى المجتمع العربي "الكتابة لامرأة دون قومها يثير التهمة بالفاحشة ويدعو للوم"؛ فهو مثال للقيل والقال تفسيرا لسبب استثناء المرأة دون قومها، واختصاصها بالفضل دونهم. أما المقدمة الصغرى فهي أمر معاوية بالكتابة للمرأة دون قومها، وهي المقدمة المفهومة صراحة بلفظ معاوية، والمؤكَّد معناها باستفسار المرأة؛ وجواب معاوية عليها بما يؤكد كون الأمر خاص لها دون قومها، وهنا تكون النتيجة الحتمية برفض هذا العطاء المنقوص؛ وهذا الإذعان المتردد من الخليفة معاوية لمطلب المرأة، التي ما طلبت غير العدل، فكان جوابها: "هي والله إذن الفاحشة واللوم إن لم يكن عدلا شاملا، وإلا فأنا كسائر قومي". إن هذا الرد فضلا عن بلاغته وقدرته على إفحام الخصم وإجباره على الإذعان لطلبها، "قال: اكتبوا لها ولقومها"، هو أمارة على عزة النفس التي تمتعت بها المرأة العربية، وإبائها وحرصها على ألا تتهم في خلقها ومسلكها، بل إيثارها للجماعة الإنسانية "القبيلة" التي تنتمي لها، وتحملها مسؤولية الكلمة، ومسؤولية الواقع الاجتماعي للقبيلة التي تنتمي إليها وتتشارك معها الآلام والأحلام، فتأبى إلا أن يكون العدل

شاملا فيها وفي قومها، وإلا فقبول الظلم العام عليها وعلى قومها أهون على نفسها الحرة. وهذا نجاح أخلاقي ينضاف إلى ظفرها البلاغي في مواجهة خصم بقدر الخليفة معاوية، عبر حلقات من السجال والمناظرة كما يفيد واقع النص بين يدينا.

نموذج (٣):

"**قالت: يا أمير المؤمنين، إني قد آليت على نفسي ألا أسأل أميرا أعنت عليه شيئا أبدا، ومثلك أعطى عن غير مسألة، وجاد من غير طلب**".

مثلك أعطى عن غير مسألة، وجاد من غير طلب(مقدمة كبرى) } قول عام مقبول
آليت على نفسي ألا أسأل أميرا أعنت عليه شيئا أبدا(مقدمة صغرى) } وصف لحالها مقبول

أعطني من غير مسألة(نتيجة) يلزم المخاطب التسليم بها، والعمل بمقتضاها في هذا النص وظفت المرأة "الزرقاء بنت عدي" القياس المنطقي توظيفا ذكيا في استخراج العطاء من الخليفة دونما طلب أو استجداء؛ فهو طلب غير مباشر مقنع يحفظ لها كرمتها وماء وجهها، ويعزز مقامها؛ كل هذا نجحت هذه المرأة في تحقيقه من خلال قياس ذكي غير مباشر استلهمت فيه طاقات اللغة وبلاغة المنطق في إرغام الخليفة على بسط العطاء لها. وقد تكوَّن القياس المنطقي في منطوق المرأة من مقدمة كبرى مذكورة "مثلك أعطى عن غير مسألة، وجاد من غير طلب"، ومقدمة صغرى مذكورة كذلك "آليت على نفسي ألا أسأل أميرا أعنت عليه شيئا أبدا"، ونتيجة منطقية مضمرة في منطوق المرأة، وماثلة فعلا منجزا في فعل خصمها الخليفة معاوية وتصديقه: "قال: صدقت فأقطعها ضيعة ...".

ويلفت النظر هنا ما يتطلبه النص من يقظة للفكر في الفهم واستخلاص عناصر القياس؛ وهو أمر يرجع أولا إلى اختلاف الترتيب في التلفظ بعناصر القياس؛ فالمقدمة الصغرى، تأتي أولا، وتلحقها المقدمة الكبرى؛ ثم في إضمار

النتيجة، التي لو شئنا صياغتها لجاءت في صيغة إنشائية وليست خبرية "أعطني من غير مسألة"؛ وكأنها نتيجة مرافعة في قضية، مقتضاها "بناء عليه اِفْعَلْ كذا أو أَطْلُبُ منك أن تفعلَ كذا". وهذا المسلك أمر شائع في الحجج الإقناعية المنطقية؛ إذ –كما يقول دكتور العبد– "بدهي أن كاتب الحجاج لا يعرض أقواله دائما في الصياغة والترتيب المباشرين؛ كالنموذج القياسي التقليدي، بل كثيرا ما يخالف في الترتيب ويزيد في العبارة بأحد الأقوال"[١].

ومما يلاحظ كذلك أن تلك النتيجة المضمرة نطقا قد تمثلت واقعا في رد فعل المخاطب "معاوية"؛ فيصدق على قول المرأة "الزرقاء"، ثم يتبع القول بالفعل الإنجازي "فأقطعها ضيعة...". وهو ما يفيد نجاعة الحيلة الحجاجية "القياس" في إقناع الخصم "معاوية" والتأثير فيه بالإذعان لمطلب خصمه "الزرقاء بنت عدي"؛ وهنا تتجلى للمرة الثانية بعد النموذج الثاني/السابق قدرة المرأة على إقناع الخصم بحجتها الحجاجية المنطقية –متضافرة بطبيعة الحال مع غيرها من وسائل الإقناع الأخرى– وتوجيهه إلى الإذعان لتنفيذ طلبها.

نموذج (٤):

"**قال: ليس بمانعي من برك يا خالة غير عدم مجيئك، قالت: أما الآن فلا**".

إذا جئتِ بررتك يا خالة(مقدمة كبرى) مقتضى كلام الخصم

الآن جئتُك (مقدمة صغرى) وصف حال المرأة الآن

وجب عليكَ بري(نتيجة) يلزم المخاطب التسليم بها، والعمل بمقتضاها في هذا النص لون آخر من القياس المنطقي اللطيف، الذي يكتسي بخصوصية الحوار بين الخليفة معاوية وبكارة الهلالية؛ فهو قياس ينبني لا على أحكام عامة مقبولة مسلم بها؛ بل على ملفوظات تصلح للتأول وإعادة الصياغة، فالمقدمة

١ – يُنظر: السابق نفسه، ص ٥٧.

الكبرى يمكن استنباطها تأولا، من مقول معاوية "ليس بمانعي من برك يا خالة غير عدم مجيئك"؛ وهو الملفوظ الذي نعيد صياغته –في غير حرج– إلى جملة شرطية "إذا جئتِ بررتك يا خالة"، ومقدمة صغرى تستنبط من رد المرأة عليه "أما الآن فلا"، والتي مفادها "الآن جئتك". ثم تأتي النتيجة سلسة منطقية في تتابع طبيعي بعد المقدمتين؛ وهي وجوب بر الخليفة معاوية بالخالة بكارة الهلالية؛ وهو الذي قطع القول جازما بأن ما من شيء منعه عن برها غير عدم مجيئها؛ فإذا زال المانع وجب العطاء؛ وهو ما وقع وكان حسبما ورد في الرواية الأولى للخبر "فقضى حوائجها وردها إلى بلدها".

ويلاحظ هنا ما تمتع به هذا القياس من مراوحة بين الإضمار والاكتمال، فالملفوظ في المقدمتين متأوَّل، وقد جاءت النتيجة مضمرة. وهو في الأخير يعد تكرارا لنجاعة القياس المنطقي أداة حجاجية في التأثير والوصول إلى إذعان الخصم بإنجاز فعل مادي ملموس في هذا النص وفي النصين السابقين له.

نموذج (٥)

"**فقال معاوية: والله يا أم الخير، ما أردت بهذا الكلام إلا قتلي، والله لو قتلتك ما حرجت في ذلك**".

جزاء القتل القتل (مقدمة كبرى) قضية عامة مسلم بها

ما أردت بهذا الكلام إلا قتلي(مقدمة صغرى) وصف واقعي مقبول لكلام المرأة

لو قتلتك ما حرجت في ذلك(نتيجة) منطقية مقبولة

ومع نموذج آخر (ثالث) للقياس المضمر، نقابل هذا النص من المحاورة الخامسة بين معاوية وأم الخير البارقية؛ وهو هذه المرة –وللمرة الأولى في نماذج القياس الخمسة المذكورة– يأتي على لسان الخليفة معاوية، في سبيل تقريعه لمحاورته "أم الخير"؛ وذلك عقب استماعه وجلسائه لخطبتها في التحريض ضد معاوية في صراعه المشهور مع عليّ بن أبي طالب؛ وذلك على لسان أحد

جلسائه الحاضرين لتلك المحاورة/ المناظرة بينه وبين المرأة. وهذا القياس كما نرى قياس مضمر حذفت مقدمته الكبرى، التي هي قضية عامة مسلم بها شرعا وقانونا وعرفا بين الناس في هذا الزمان وفي كل زمان "جزاء القتل القتل"، وهي تستفاد ضمنا من مجرى الحديث المتمثل في المقدمة الصغرى والنتيجة اللتين جاءتا على لسان معاوية؛ فالمقدمة الصغرى قوله "ما أردت بهذا الكلام إلا قتلي"، وهو وصف واقعي مقبول لكلام المرأة، مقبول من جموع الحاضرين الذين استمعوا لكلمات التحريض في خطبة المرأة، ومقبول مصدق عليه من قبل المرأة نفسها كما يستفاد من ردودها بعد ذلك قبولا وإذعانا لعقوبة معاوية المقترحة. ثم تأتي النتيجة في ملفوظ معاوية كذلك "لو قتلتك ما حرجت في ذلك". ومعاوية هنا لا يقصد –بالتأكيد– إبداء رغبته في قتلها، وإنما أراد بذلك أن يحقق لنفسه ولموقفه انتصارا أدبيا؛ بإظهار حقه في القصاص منها على ما حرضت عليه في خطبتها، مع الصفح الذي يظهره في صورة الحليم الرحيم كريم الخلق.

ورغم نجاعة القياس المنطقي الذي ساقه معاوية، وإحكامه في مواجهة خصمه؛ إلا أن المرأة استطاعت أن تجهز على هذا النصر المعنوي لموقف خصمها بما أظهرته من رباطة جأش، وثبات على الموقف؛ أبدت من خلاله حقيقة القضية، وأنها ليست قضية قتل أو تحريض على القتل مما يستوجب القصاص؛ بل قضية نزاع سياسي وديني اجتهد فيه فريقان لتحقيق ما رآه كل منهما مصلحة وحقا، وهي لا تخجل من هذا الموقف، ولا تسعى إلى إنكاره – مثلها في ذلك مثل النسوة الأربعة الأخريات– بل تقر به، مفتخرة بما تراه الحق في مواجهة الباطل، مع التسليم بغلبة السلطان التي يتمتع بها معاوية في مواجهتها؛ إذ قالت المرأة: "والله ما يسوؤني يا ابن هند أن يجري الله ذلك على يدي من يسعدني الله بشقائه".

وأخيرا، ومن خلال هذه النماذج الخمس للقياس؛ يتبين أن الغلبة فيها كانت للقياس المضمر؛ إذ إن ثلاثة منها جاءت في صيغة القياس المضمر (١ / ٢ / ٥)، واثنتين جاءتا قياسا منطقيا كاملا (٣/ ٤) مع ملاحظة ما يعتري

النموذج (٤) من تأول لعناصر القياس من مقدمات ونتائج؛ ولا يخفى ما يفضي إليه القياس المضمر من تنشيط للوعي، واستثارة للفكر، سواء فكر المخاطب/ المحاور في الواقعة الحوارية، أو فكر القارئ/ المتلقي للخبر المروي لاحقا؛ إذ "يستوجب القياس المضمر حضورا يقظا للقارئ مع النص، يستنبط له من سياق الحجاج مقدمته المحذوفة"[١].

كما يتبين من هذه النماذج الخمسة غلبة المرأة في مواجهة الخصم من خلال هذه الآلية الحجاجية المنطقية، سواء كانت المرأة هي المستخدمة لها، أو كانت مستقبلة لها من محاوِرِها؛ وهو ما يتبين في النماذج الثلاثة التي استخدمت المرأة فيها القياس أداة إقناعية للتأثير في خصمها (٢/ ٣/ ٤)؛ حيث ظفرت المرأة في النماذج الثلاث بمرادها؛ وحققت غايتها المتمثلة في إذعان الخليفة معاوية، الذي –على ما يبدو– كان مستعدا للإذعان في نهج يمثل سياسة عامة له تجاه خصومه بعدما استبب له الأمر، وهي سياسة المسامحة وتقريب الفجوات، وكسب الخصوم بالعطاء تارة، وبالتلطف تارة. كما تتجلى غلبة المرأة في مواجهة خصمها حين يستخدم هو القياس المنطقي أداة حجاجية للتأثير والإقناع وخلخلة موقف الخصم، وهو ما تجلى في المحاورتين (١/ ٥) ففي المحاورة (١) نجحت المرأة في تجاهل حجة خصمها، من خلال تماديها في التطاول عليه هجاء وتعريضا استثمرت فيه –لا شك– ما تتمتع به من مكانة اجتماعية كبيرة لسنها ومقامها في قومها، فضلا عن قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكذلك في المحاورة (٢) حين نجحت المرأة في اختبار القوة في موجهة دعوى الخليفة معاوية باستحقاقها للقتل؛ حيث واجهت دعواه بصلابة وسخرية ممزوجة بالتحديث كما أسلفنا. وهكذا يتجلى لنا كيف مثل القياس أداة حجاجية ناجعة في مجمل نصوص بلاغات النساء موضع الدراسة عامة، وفي بلاغة المرأة العربية في معركتها الحجاجية بصفة خاصة.

١ – يُنظر: السابق نفسه، ص ٥٩.

الخاتمة

وبنهاية هذا الجهد المتواضع، يخلص البحث إلى عدد من النتائج؛ على هذا النحو:

- يعد كتاب "بلاغات النساء" –في ضوء ما تناولنا من محاورات– برهانا جليا على مركزية المرأة في الحياة العربية العامة، وما حظيت به من حضور وتأثير وتقدير.
- هناك عدة ملابسات أدت دورها في توجيه الخطاب الحجاجي؛ من حيث تقوية جانب أحد المتحاورين على الآخر، أو توجيه الحجاج إلى غاية تصالحية أو تصادمية ... إلخ، وأهم هذه الملابسات: الزمان / المكان / حال المرأة ومقامها / الداعي إلى اللقاء. فالزمان –على سبيل المثال– كان تارة موسم الحج مع ما يصحبه من جو روحاني قوامه تقوى الله، مما كان له دوره في إلانة جانب المخاطب (الخليفة معاوية) في مواجهة حديث محاورته "أروى بنت الحارث". وتارة زمان التمكين في الحكم لمعاوية؛ وما أفضى إليه هذا من نشر حالة تصالحية لدى الخليفة معاوية مدفوعة برغبة في التصالح وتأليف القلوب.
- تفاوتت الأسباب الداعية للمحاورات الخمسة؛ بحيث إن ثلاثا من هذه المحاورات تمت بمبادرة وسعي من المرأة إلى بيت الخلافة؛ إما طلبا لعطية، أو عرضا لمظلمة، أو قضاء لحاجة. بينما جاءت اثنتان من هذه المحاورات بدعوة مباشرة من الخليفة، قاصدا بها إثراء مجلسه بحوارات بليغة يستعرض فيها شيئا من حلمه وحسن صنيعه مع خصومه.
- يمثل المشهد الحواري أسلوبا فنيا مهيمنا على النصوص الخمسة موضع الدراسة؛ وهو ما عزز من القيمة الحجاجية لهذه النصوص، لما يتمتع به الحوار من حضور مباشر للصوت في مواجهة الصوت الآخر، والحجة في مقارعة الحجة.

- في معظم هذه المحاورات هناك أطراف أخرى ثانوية حاضرة في بنية الخطاب الحواري والحجاجي، وبعض هذه الأطراف فاعل كجلسائه المحرضين له على النساء، وبعضها الآخر مشارك بالمشاهدة والحضور. وقد كان لهذه الأطراف جميعها دور مباشر أو غير مباشر في المحاورات من حيث التأثير في مزاج المتحاورين وتوجهاتهم، وفي توجيه الخطاب الحجاجي واستراتيجياته.
- أفضت نتيجة المحاورات الخمسة –في مجملها– إلى انتصار المرأة أدبيا وماديا؛ حيث تبدى الانتصار الأدبي فيما رصدته الدراسة من براعة حجاجية، وحسن بيان في إظهار الحجة، ومخاطبة الخليفة بجرأة ورباطة جأش. في حين تبدى الانتصار المادي في وصول المرأة في كل هذه المحاورات تقريبا إلى تلبية طلبها وقضاء حاجتها؛ وهي حاجات مادية في أربع محاورات، ومعنوية في محاورة واحدة فقط. غير أن هذا الانتصار للنسوة المتحاورات لم يعنِ هزيمة المحاور "معاوية"؛ لسببين: أولهما أن إذعان الحليفة "معاوية" لمحاوراته في تلك النصوص كان –غالبا– إذعانا عن طيب خاطر، ومن موقع رفيع، موقع الخلافة الذي إن شاء بمقتضاه منع وعاقب، لكنه آثر جميل الفعل في مواجهة حسن بلاغة النسوة أو رفعة مقامهن. وثانيهما: أن هذا الإذعان جاء نتيجة لحرص معاوية على استثمار تلك المواقف في تأكيد صورته الإيجابية السمحة، التي كانت ثابتة في حقه بما أثر عنه في كتب الأدب.
- تتميز المحاورات الحجاجية في كتاب بلاغات النساء بتوظيف خاص لتقنيات الاشتغال اللغوي، التي فرضت نفسها بحضور لافت ومكثف؛ علامةً دالة على طبيعة الخطاب الحجاجي؛ وهو ما تمثل عبر جملة أساليب لغوية تم توظيفها بما يخدم الغرض الحجاجي للخطاب؛ وأهمها: (الاستفهام – الأمر

– النهي – النداء). كما يلاحظ تضافر تلك الأساليب والجمع بينها، وهو ما يمثل تعاضدا أسلوبيا يعزز قيمة المواجهة الحجاجية بين أطراف الحوار.

- يمثل الاستفهام الأسلوب الإنشائي الأكثر ورودًا في هذه النصوص الحوارية محل الدراسة فهو من أبرز التقنيات اللغوية الموظفة من قبل المتحاورين بعدد تكرارات بلغ ٤٦ موضعا. وقد تصدر الخليفة "معاوية" شخصيات المحاورات الخمسة في استخدام الاستفهام، حيث نسبت له أساليب الاستفهام ٢٨ مرة بما نسبته ٦١% تقريبا. وهذا المؤشر يعد مؤشرا دالا على السلطوية الاجتماعية التي يتمتع بها معاوية بوصفه الحاكم، وهو ما يخول له فعل المساءلة، سواء لضيفاته من النساء، أم لجلسائه الحاضرين. كما يلاحظ أن الاستفهام قد خرج عن أصل دلالته إلى أغراض بلاغية أخرى بما يجعله أكثر فاعلية وقدرة على تغذية الخطاب الحجاجي، وإثراء تفاعلية الحوار بين أطرافه.
- يظهر أسلوب الأمر في المحاورات محل الدراسة حضورا أقوى على حساب أسلوب النهي؛ حيث ورد الأسلوبان (الأمر والنهي) في هذه المحاورات الخمسة في ٤٤ موضعًا؛ منها ٥ مواضع فقط للنهي، والباقي (٣٩ موضعا) اختصوا بالأمر. كما يلاحظ أن كل أساليب الأمر والنهي المتبادلة بين معاوية ومحاوِراته الخمسة تكتسي أغراضا بلاغية، وتثريها قيمٌ وجدانية وانفعالية مناسبة لسياقات المواقف الحوارية والحجاجية بينه وبينهن، وهذا التنوع الدلالي والبلاغي في وظائف أساليب الأمر والنهي عزز دورهما في تعزيز الحجاج، وتهييج أسبابه.
- أسلوب النداء كان له –كذلك– نصيب وافر في الحضور؛ حيث تكرر استخدامه ما بين ٣ مواضع إلى ٢٠ موضعا في كل نص، بمجموع تكرارات بلغ ٤٧ موضعا. وهو أمر يرجع إلى أهمية النداء الذي يعد أحد وسائل التخاطب التي لا غنى عنها لأي نص تواصلي قائم في بنائه على تبادلية

الخطاب بين أكثر من شخصية. وفي هذا السياق يلاحظ غلبة الأداة "يا" على غيرها من أدوات النداء الأخرى، ورغم كونها أداة لنداء البعيد، فإنها غالبًا ما أتت في تلك المحاورات المخاطبة بين شخصين حاضرين في مكان واحد يحكمهما القرب المكانيّ لا البعد، وهو أمر يمكن تفسيره في تلك المحاورات بمناسبة هذه الأداة للدلالة على حالة المساجلة والمحاجة القائمة بين طرفي الحوار، بحيث تؤطِّر للبعد الاجتماعي والنفسي والأيديولوجي – وليس المكاني– بين الشخصيات.

- تضافرت جملة من التناصات الذكية في نصوص بلاغات النساء في أداء دور تعزيزي جلي في تدشين خطاب الذات في مواجهة الآخر، حجاجا وإقناعا واستظهارا للمقدرة البلاغية والفصاحة اللفظية في مواجهة الخصم. وأهم تلك التناصات المؤثرة (التناص القرآني – توظيف النص الشعري – توظيف الخطابة).
- يكتسب النص الشعري في تلك المحاورات قيمة إحالية وتعيينية وحجاجية ربما تطغى على ما له من قيمة جمالية، وقد تكرر ورود التناصات الشعرية في عدة سياقات؛ أهمها: سياق البكاء الذي يعد وسيلة أنثوية الطابع توظف المرأة فيها ضعفها في التأثير على الرجل. وسياق الاتهام؛ حيث يسوق معاوية أو أحد جلسائه نصا شعريا على لسان محاوراته، تقريعا لهن، وإثباتا لجرمهن في حقه وحق بني أمية. وفي هذه الأخيرة يكتسب التناص الشعري قوة حجاجية مائزة تتجلى فيما يتبعه –غالبا– من إقرار المخاطَبِ وتصديقه على مضمونه، أو اعترافه بصدوره عنه، وهو ما يعني تسليمًا بالحجة وإقرارًا بالدعوى؛ وبذلك يكتسب التناص الشعري قوته دليلا وبرهانا بفضل ما يتسم به من الذيوع والانتشار؛ فهو قول ثابت بفعل الرواية والمشافهة التي اتسمت بها العقلية العربية في هذا الزمان.

- وُظِّفت بنية الخطبة في هذه المحاورات مرتين على لسان اثنتين من النساء المحاورات لمعاوية، ومن خلال تقنية الاسترجاع والتذكر، الذي يتخلل المشهد الحواري القائم بين الشخصية النسوية من جهة ومعاوية وجلسائه من جهة. وقد أسهم توظيفها في تعزيز القيمة الحجاجية والبلاغية للنصوص. وهي وظيفة مزدوجة تبدأ بالتأثير الإقناعي في جمهور المتلقين للخطبة لحظة إلقائها على مسامع هذا الجمهور، وتنتهي بالدور الحجاجي لها عند استدعائها بوصفها وثيقة إدانة ودليلا مدعِّما لموقف معاوية في مواجهة محاوِراته.
- توسلت النصوص المختارة من "بلاغات النساء" في تحقيق وظيفتها الحجاجية بكثير من الآليات والوسائل البلاغية التي تعد معززات جلية الأثر في بناء النص الحجاجي. ومن تلك الوسائل: الصور البيانية المختلفة (التشبيه – التمثيل – الاستعارة بنوعيها – الكناية)؛ إذ يؤدي المجاز –عبر هذه الصور المختلفة– دورًا بارزًا في بناء النص الحجاجي؛ بوصفه خرقا للدلالة المباشرة ولمألوف القول مما يحقق أثرا بالغا في استثارة وعي المخاطب/المتلقي.
- جاء خطاب النساء لمحاورهم (معاوية وجلسائه) خطابًا بلاغيًّا ونثرا فنيًّا وأدبيًّا رفيعًا مشتملاً على جل ألوان البديع من جناس وطباق وسجع وتوازن ومناسبة وإطناب؛ حيث وُظفت صور البديع وألوان الصنعة اللفظية والمعنوية بوصفها أدوات ناجعة في تحقيق فعل الإغراء والإقناع، بما تمتلكه من طاقة تأثيرية قوية في نفس المتلقي طربا بالإيقاع اللفظي، أو تلذذا بتدبر مكنونات المعنى الذي ينطوي عليه اللفظ.
- يُلاحظ على توظيف السجع في نصوص "بلاغات النساء" اعتماد نسبة كبيرة منها على حروف الضمائر عامة، والخطاب منها خاصة؛ وهو أمر يعكس

الطبيعة الحجاجية للمحاورة، بإبراز التوتر الذي يعكسه تواتر وتكرار كاف الخطاب.

- لبنية المقابلة أو الطباق حضورها القوى في تلك المحاورات الحجاجية، ولها انعكاسات مختلفة على الخطاب بوصفها بنية بديعية قائمة على المعنى والدلالة، ولكونها مناط المفارقة، والأليق بتصوير تباين مواقف المتحاورين ووجهاتهم وآرائهم.
- ترصد الدراسة تداخلا واضحا بين ألوان البديع المختلفة في محاورات "بلاغات النساء"؛ إذ كثيرا ما يكون موضع الجناس ذاته موضعًا للسجع، بمجيء الكلمتين المتجانستين في فاصلتي جملتين متتاليتين. كما يقترن توظيف بنية المقابلة في بعض النماذج بالسجع وتوازي الجمل؛ مما يعد جمعًا بين داعي التأمل في المعنى (الطباق والمقابلة) وداعي الالتذاذ بالمبنى (السجع وتوازي الجمل). وهذه التداخلات من شأنها –ولا شك– إثراء الإنشاء الأدبي وتعزيز النص الحجاجي جماليًا ودلاليًا.
- وأخيرا مثل القياس أداة حجاجية ناجعة في مجمل نصوص بلاغات النساء موضع الدراسة عامة، وفي بلاغة المرأة العربية في معركتها الحجاجية بصفة خاصة. ويلاحظ أن الغلبة كانت للقياس المضمر على القياس الكامل، مع ما هو معلوم من أثر القياس المضمر في تنشيط للوعي، واستثارة للفكر. كما يتبدى من خلال هذه النماذج الحجاجية المرصودة في النصوص محل الدراسة غلبة المرأة في مواجهة الخصم من خلال هذه الآلية الحجاجية المنطقية، سواء كانت المرأة هي المستخدمة لها، أو كانت مستقبلة لها من محاوِرِها.

قائمة المصادر والمراجع

- **أولا: القرآن الكريم.**
- **ثانيا: المراجع العربية:**

١. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مطبعة نهضة مصر – القاهرة، د.ت.

٢. ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجذري)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، طبع دار ابن حزم – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م.

٣. أحمد علواني، الحجاج عند الطفيليين، دار التنوير للطباعة والنشر – القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠١٥.

٤. أحمد محمد فارس، النداء في اللغة والقرآن، ط١، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، دار الفكر اللبناني.

٥. أحمد يحيى علي، وأحمد عبدالعظيم محمد، خطاب النثر العربي: بلاغة التشكيل والتأويل، طبع عالم الكتب – القاهرة ٢٠١٦م.

٦. أيمن أمين عبدالغني، الكافي في البلاغة: البيان والبديع والمعاني، دار التوفيقية للتراث، إيداع: ٢٠١١م.

٧. توفيق قريرة، التعامل بين بنية الخطاب وبنية النص في النص الأدبي، مج عالم الفكر، عدد٢، مجلد ٣٢، أكتوبر – ديسمبر ٢٠٠٣م.

٨. الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، طبع دار الجيل – بيروت، جزء١.

٩. الجرجاني (عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد):

- أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، طبع: مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة.
- دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة د.ت.

١٠. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ط ١- ١٩٧٣م، دار الكتاب اللبناني، بيروت، جـ١ / ج٢.
١١. جميل عبد المجيد، البلاغة والاتصال، دار غريب للطبع والنشر -٢٠٠٠م.
١٢. الجوهري (أبو نصر إسماعيل بن حماد)، الصحاح (اللغة وصحاح العربية)، الموسوعة الشعرية، الشعر ديوان العرب، المجمع الثقافي، أبو ظبي: ١٩٩٧-٢٠٠٣م، الموقع الإلكتروني:
- http:/ / www.cultural.org.ae
١٣. حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي: عناصر استقصاء نظري، سلسلة عالم الفكر، عدد (١)، يوليو -سبتمبر ٢٠٠١.
١٤. حسن محمد النعمي، بلاغة المجادلة: قراءة في بلاغات النساء السردية، مجلة الدراسات العربية، ع ٨، مج١، جامعة المنيا – كلية دار العلوم ٢٠٠٣م.
١٥. الخطيب القزويني (جلال الدين محمد بن عبدالرحمن بن عمر)، الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، طبع دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ.
١٦. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، (ضمن الموسوعة الشعرية).
١٧. خليل عبدالسادة إبراهيم الهلال، وزينب عبدالله كاظم الموسوي، أسلوب الكناية عن الصفة في كتاب بلاغات النساء لابن طيفور، مجلة كلية الآداب – جامعة الكوفة، مجلد ٩ – عدد ٢٧ – ٢٠١٦م.
١٨. ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط ٤ – ١٩٧٢، الجزء الأول.
١٩. رمزي السيد حجازي، آليات الخطاب الحجاجي في حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع الأنصار عقب غزوة حنين، بحث منشور في مجلة كلية اللغة العربية بإيتاي البارود، عدد ٣٥ – الإصدار الأول ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م.

٢٠. الزِّرِكْلِي (خير الدين)، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، طبع دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة ١٥ – مايو ٢٠٠٢م، ج٣.
٢١. الزمخشري (جار الله أبو القاسم محمود بن عمر)، أساس البلاغة، (ضمن الموسوعة الشعرية).
٢٢. سبط ابن الجوزي (شمس الدين ابي المظفر يوسف بن قز أوغلي بن عبدالله، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد رضوان عرقسوس، طبع دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى ٢٠١٣م– ١٤٣٤هـ، ج٨.
٢٣. ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الزهري)، كتاب الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، نشر مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، ج١٠.
٢٤. سماح بن خروف، الآليات الحجاجية وأبعادها الجمالية في الخطاب الإصلاحي لمحمد البشير الإبراهيمي خطية "الأمية" أنموذجا"، مجلة الآداب واللغات، عدد٧ – يناير ٢٠١٨م.
٢٥. ابن سنان الخفاجي (أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد)، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٢هـ–١٩٨٢م.
٢٦. السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط. مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٢٧. سيد قطب، عبد المعطى صالح، كيف نمارس الخطاب في عرض الأفكار، ط١. ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م. كليوباترا للطباعة والكمبيوتر، الزيتون، القاهرة.
٢٨. السيد محسن الأمين الحسيني العاملي، أعيان الشيعة، مطبعة ابن زيدون بدمشق، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ – ١٩٣٩م، ج١٢.
٢٩. ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل)، المحكم والمحيط الأعظم، (ضمن الموسوعة الشعرية).

٣٠. شاكر هادي التميمي، ورائد حامد خضير، إشكالية تجنيس الخبر الأدبي: كتب أخبار النساء والجواري حتى نهاية القرن العاشر الهجري أنموذجا، بحث منشور في مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية – مجلد ١٧ – عدد٢ سنة ٢٠١٧م
٣١. الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق د. عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، إيداع ١٩٩١.
٣٢. شيماء عبدالرحمن توفيق محمد، الأجوبة المسكتة في نثر "بلاغات النساء" لـ"طيفور الخراساني": دراسة بلاغية، حولية كلية اللغة العربية بالمنوفية، مج ٣٦، ع ١ – يونيو ٢٠٢١م.
٣٣. الصفدي (صلاح الدين)، الوافي بالوفيات، (ضمن الموسوعة الشعرية).
٣٤. صلاح الدين المنجد، من تراثنا المفقود: ما ألف عن النساء، بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ١٦ جمادي الأولى ١٣٦٠هـ – عدد ٥.
٣٥. طه عبدالرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، المركز الثقافي العربي – المغرب.
٣٦. ابن طيفور (أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر)، بلاغات النساء، تحقيق: أحمد الألفي، طبع: مطبعة مدرسة والدة عباس الأول – القاهرة – ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م.
٣٧. عباس حسن، النحو الوافي، ط١٣، دار المعارف، ١/٤.
٣٨. عبدالباسط ضيف، وعيسى أخضري، صور من الخطاب الحجاجي العربي المعاصر: دراسة مقارنة، بحث منشور في مجلة إشكالات في اللغة والأدب – مخبر اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات – جامعة عمار ثليجي، مج ٩ – ع ٥ سنة ٢٠٢٠م.

٣٩. عبدالسلام عشير، عندما نتواصل نغير: مقاربة تداولية عرفية لآليات التواصل والحجاج، طبع أفريقيا الشرق– المغرب ٢٠٠٦م.
٤٠. عبدالفتاح كيليطو، الحكاية والتأويل– دراسات في السرد العربي، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، دار توبقال للنشر.
٤١. عبدالله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي – بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٧م.
٤٢. عبدالهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا/ لبنان، طبعة ١ – ٢٠٠٤م.
٤٣. عبد الوهاب الرقيق، في السرد " دراسات تطبيقية"، ط١– ١٩٩٨م، دار محمد علي الحامي، تونس.
٤٤. العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبدالجواد، وعلي محمد معوض، طبع دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، ج ٦، ج٨.
٤٥. العسكري (أبو هلال الحسن بن عبدالله)، كتاب الصناعتين، تحقيق: على محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م، دار إحياء الكتب العربية.
٤٦. العلوي (يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم)، الطراز، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، الجزء الثاني.
٤٧. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسين، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، قابله وأعده للطبع: عدنان درويش، ومحمد المصري، طبع: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية – ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.
٤٨. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، الفاضل في اللغة والأدب، باب الحلم والأناة، (ضمن الموسوعة الشعرية).

٤٩. مجدي وهبة، وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط٢ – ١٩٨٤، مكتبة لبنان، بيروت.

٥٠. محمد العبد:

- تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب، مجلة فصول، ع٦٥ / خريف ٢٠٠٤– شتاء ٢٠٠٥.
- اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة: بحث في النظرية، ط١ سنة ١٩٩٠م، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة.
- النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، ع ٦٠ صيف – خريف ٢٠٠٢.

٥١. محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، طبع دار الحديث بالقاهرة – ١٣٦٤هـ.

٥٢. محمد مندور، الأدب وفنونه، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، طبع يناير ٢٠٠٠.

٥٣. ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي)، لسان العرب، (ضمن الموسوعة الشعرية).

- **ثالثا: المراجع المترجمة:**

٥٤. أرسطوطاليس، الخطابة (الترجمة العربية القديمة)، تحقيق وتعليق: عبدالرحمن بدوي، نشر وكالة المطبوعات – الكويت، ودار القلم – بيروت، ١٩٧٩م.

٥٥. باتريك شارودو، ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة: عبدالقادر المهيري، وحمادي صمود، طبع المركز الوطني للترجمة– تونس ٢٠٠٨.

٥٦. جيرالد برنس، المصطلح السردي، ترجمة: عابد خزندار، ط١ – ٢٠٠٣م، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة.

٥٧. روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: د. تمام حسان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، عالم الكتب، القاهرة.

- **رابعا: المخطوطات والرسائل العلمية:**

٥٨. سعاد مسعودي، كتاب "بلاغات النساء" لابن طيفور دراسة نقدية، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري. تيزي وزو. كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية. الجزائر ٢٠١٢.

٥٩. غالم عبدالصمد، استراتيجيات الخطاب الإقناعي في بخلاء الجاحظ، رسالة ماجستير مقدمة لقسم اللغة العربية بكلية الآداب واللغات والفنون – جامعة جيلالي ليابس – الجزائر، ٢٠١٦ – ٢٠١٧، إشراف: بوجمعة عمارة.